

نظرية

علم جداً
هذا الكتاب ليس للبيع ، يوزع بالجان

لاييري

و فن إزالة الشعر من رُون الم

زهير أبو سعد

لاييري

زهير أبو سعد

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author Zohir Abu Saad.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الكاتب زهير أبو سعد.

عنوان الكتاب: نظرية لأيري
اسم المؤلف: زهير أبو سعد
تصميم الغلاف: زهير أبو سعد
تدقيق لغوي: ف ، ج
مقدمة: زهير أبو سعد

الطبعة الأولى 2020 م

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

للكاتب زهير أبو سعد

رقم الإيداع: 2020/7493

Literar-Mechana

نظرية

{ لأيري }.

وفن إزالة الشعر من دون ألم

زهير أبو سعد

مقدمة الكاتب

جسدٌ روائيٌّ للبيع

سعرُ الليلة (194,99) يورو، أنتَ اسمكَ لاجئ،
وسوفَ يبقى اسمكَ لاجئًا، أتيتَ من أرضِ الحروبِ
والدماءِ والتصفياتِ الطائفيةِ والقوميةِ والعرقيةِ،
أحلامُك مرهونةٌ بالقليلِ من الحريةِ والكرامةِ، إن كانَ
لديكَ هدفٌ في الحياةِ سوفَ تحققهُ من بعدِ أن تستهلكَ
كلَّ قواكَ الجسديةِ

والعقليةِ، وسوفَ تُثبتُ لنفسكَ بأنك نجحتَ وأنَّ لديكَ
قدرةٌ ولو ضئيلةٌ للتغيرِ، وعندما تصلُ إلى أرضِ
الأحلامِ كما يُسميها عشاقُ الديمقراطيةِ عليكَ أن تُتقنَ
ثلاثةَ أشياء:

اللغةُ والاندماجُ والالتحاقُ بسوقِ العملِ

وهناك شرطٌ واحدٌ لكي تحصلَ على هذه الأشياءِ
الثلاثة، حتَّى أكونُ معكَ في قمةِ الوضوحِ ألا وهو:

(الابتعادُ الجذريُّ عن العرب)

وعدمُ الاقترابِ منهم حتى ولو كانوا أنبياء، وإذا
حاولتَ أن تقتربَ فسوفَ تُقبرَ كُلياً ولن يُنزلوا عليكَ
آيةَ وسيلةٍ من وسائلِ الرحمةِ مهما فعلتَ، طبعاً لا
تستثني منهم أحداً من سياسيينَ
وإعلاميينَ ومُفكرينَ وأطباءَ ومُدَّعي الشرفِ والنُّبوة،
سوفَ تجدُ بأنهم في معركةٍ دائمةٍ بعضهم مع بعضٍ
وشتائمَ
وتُهمَ ومعاركٍ داميةٍ قد تصلُ إلى سُدةِ القضاءِ تحتَ
تُهمِ لا تُسمنُ ولا تُغني من جوع، وبلغةٍ شوارعيةٍ
أكثر:

(الشاطر يلي بدو يخرا على الآخر)

عندما تتقنُ الأشياءَ المطلوبة منك، أن تتجهَ إلى مكتبِ سوقِ العمل، إذا حالفك الحظُّ وكانَ الموظفُ هناك من أهلِ البلد، أعتقدُ أنَّ أمَّكَ قد دعتُ لك في ليلةِ القدر، - كنايةً عن الحظِّ السعيد - وإذا كانَ الموظفُ عربيًّا جديدًا سوفَ ترى نجومَ الظهرِ

وتتبنى لو أنك غرقتَ في البحر، ومهما حاولتَ أن تفتحَ نافذةَ أمل، سوفَ يُغلقُ الموظفُ عليكَ كلَّ الأبوابِ حتى ثقوبِ الحياةِ سوفَ يَطأُ عليها بقدمه ويُجرِّدُك من كافةِ حقوقِكَ الإنسانية:

تخيَّلْ وبعدَ أن تنتهي من كتابةِ سبعِ وعشرين روايةً باللغةِ العربية، وروايتينِ باللغةِ الألمانية، وتطبعُ وتنشرُ ويكونُ لكَ مهمةٌ في الحياة، بكلِّ سخريةٍ سيقولُ لكَ الموظفُ العربي:

(في مكتب العمل لا يوجد مهنة كاتبٍ

وروائي هنا!)

جارتى كاترين تقولُ لي: إنها تعملُ في بيتِ دعارة،
واسمُها مسجلٌ في مكتبِ العملِ كمهنة، ولها كل
حقوقِها الإنسانيةِ

والقانونيةِ والطبيةِ في البلد، وتعيشُ بحريةِ تامةٍ
ومُرتَّبها أفضلُ من مُرتَّبِ طبيبٍ في مشفىِ فيينا، وأما
الكاتبُ في هذهِ البلدِ لا يحظى بأَيِّ حقٍّ من حقوقه
حتى لو حصلَ على جائزةِ نوبل، بالمختصر:

على ما يبدو حانَ الوقتُ لتغييرِ المهنة، من روائيِّ
يُمارسُ مهنةَ اللحمِ إلى رجلٍ يُريدُ بيعَ جسدهِ في ملهى
للغُراة،

وأنا ما زلتُ ثابتًا عندَ نظريَّتي التي تقول:

(لا تلوموا العاهرةَ على بيعِ شرفِها، ولكن عليكم أن
تضعوا اللومَ على المجتمعِ الذي أوصلها لبيعِ جسديها
لكلِّ جائعِ جنسيا)

زهير أبو سعد

مدقق الكتاب

في الحديثِ عن الأرواحِ وهيَ في أوجِ وحدتها،
أسرفنا بالتَّحديقِ للأعلى وأهدرنا النَّظرَ للصُّورة، كانَ
الخيالُ دائماً يُورِجُنا ويُجيدُ الشَّدَّ والسَّحبَ والرَّفَعَ
والدَّفَعَ بسهولة، بعثَرنا اللَّفظَ في مراتعِهِ بلا شَفَقَةٍ،
واقترَفنا الذَّنْبَ مع أَننا نَعلمُ الحقيقةَ، وجاهدنا على أنْ
نُدسَّها تحتَ ألسِننا خفيةً ورُحنا نَزفُ الكلامَ لَمَنْ حولنا
كذبةً كذبةً، جَرَجَرنا الأحلامُ حتَّى اهترأتْ قلوبنا
وتمزَّقتْ ذاكرتنا وأوغلَ السَّمُّ فينا، فأضحينا مُصابينَ
خيالٍ ومُتهمينَ بهجرِ الحقيقةِ فصدأتْ وتآكلتْ وغرقتْ
وغارتْ في داخلنا.

الداخل!

إنَّه المُستقرُّ الوحيدُ للنَّوايا دونَ أنْ تطالها الظُّنونُ
السَّيئةُ أو يُصيبها عبثٌ أو بلبلةٌ،

ماذا لو بدأنا هكذا؟

غير مُبالينَ بحلمٍ ولا بأمنية، وأحسنًا النَّظَرَ لأنفسنا
وسبَرنا الدَّواخلَ قبلَ أن نَحْكَمَ على أصحابها،
هل كانت ستُحسبُ الأيَّامُ التي غافَلتُنا ومرَّت عُمرًا؟
هل كُنَّا سنصلُ لذاتِ الدَّرَجَةِ مِنَ النِّفاقِ واللُّومِ
والخُذلانِ والخيبة؟

وأين سيكونُ الخوفُ والألمُ حينها؟
ولأني لا أحسنُ الإجابةَ ولأنَّ كلماتي وحدها قاصرة،
ولألاَّ يجرِّفنا الكلامُ ويُعيدنا إلى ذاتِ الحكاياتِ القديمة،
لا تقفَ عندَ النُّقطةِ واقراً بإمعانٍ لتصلَكَ التَّفاصيلُ.

ف، ج

إهداء..

لأيري..

(ويحكوا)

شو حلو رائحة بارفانك يا مدام!
في الحقيقة الجميع يتحدثون عنك الآن، الجميع
حريصون على رائحة عطرك،
الجميع مشغولون بالماركة التي تضعينها على عنقك،
الجميع مشوشون بتفاصيل ذلك الخيال الليلي
المبهرج بنسائم اللذة، هل تعلمين أنهم الآن قد وضعوا
ملف ثقب الأوزون على أحد رفوف اللامبالاة من
أجلك!

من أنت؟ ومن الجميع؟

الجميع: فعل حاضر مكتمل بكل بهارج الذكورة،
حقيقي ومزيف، مُبستر

وطازج، مُغلف ومكشوف، مَسْتور

ومفضوح، مجبولٌ بالإيمانِ والإلحاد، أكفُّ تساوت
بالجنايةِ والتضحيةِ وكلُّ هذا من أجلِ ثقبِ الأوزون.

أنتِ وما أدراكِ من أنتِ؟

تحصيلُ حاصل، يَعْرِفونكِ بصفةِ الضِّلَعِ الأعوجِ في
حياةِ رجلٍ مُعتدلٍ متساوٍ في العقلِ والرجولة، وعندما
يُطلقونَ على جمعِ مفقودِ الهيبةِ والعقلِ تكونُ الصفةُ
مُذكَرَةً وكاملةً الدسمِ مثلاً:

(مشفى المجانين)

مشفى مُذكر، والمجانينُ ذكور، ليستِ المصيبةُ هنا،
المصيبةُ أنهم لن يتوانوا عن وضعكِ تحتَ صفةِ
الاتهامِ يا مدام، اتهامكِ بأنكِ من غيرِ عقلٍ ولا
تستطيعينَ أنْ تُسيطرِي على الأمورِ المصيريةِ،

فِيستغبيكِ الجميعُ بحججٍ واهية، كأنَّ يُحجِّموكِ تحتَ
مِظلةِ الدينِ والشَّرَفِ

والقوميةِ والعاداتِ وأكلِ الخراء، والمُصيبةُ أنَّ هذا
الجمعَ مركبٌ من نواةٍ كوارثية، شوفي لكِ (حوبة)،
هذا الجمعُ الغفيرُ من ذكورِ بني قريشٍ يخافونكِ إن
أعملتِ عقلكِ تحتَ الطَّاقةِ العقلانية، يريدونكِ دجاجة
تبيضُ لهم ذهبًا، ليأخذوا ببيضكِ

ويبيعونه في متاجرهم أو يستعملوه في مصالحهم،
وإذا كبرتِ يا أمَّ الفراخِ فمنتفِ الدجاجِ ينتظركِ، أو كِ
يا حلوة.

انتظري يا مدام، لم أنتهِ من حديثي معكِ، ممكن
تتركي الهاتفِ من يدكِ وتركزي جيدًا، لديكِ العمرُ
بأكلمه لملاحقةِ رجلِ أحلامكِ، لديكِ ما يكفي من النكدِ
والضَّجرِ والالتفاتِ لأمرٍ تافهةٍ في حياةٍ ذكرٍ قد أتى
بكِ لإشباعِ رغبةٍ أو لخدمته المنزلية، التادلجُ والتأقلمُ
تحتَ ظلِّ رجلٍ أحمقٍ وغبي لا يعرفُ معنى نُقْبِ

الأوزونِ وأضرارهِ على كوكبِ الأرضِ، هذا وجودُهُ
عبارة عن كثافةٍ سكانيةٍ لا غير، يمكنكِ أن تسأليني ما
فائدته في الحياة؟

طبعًا لا يهمني ما فائدته ولا وجوده ولا أي شيءٍ
يتعلق به، ولكن بكلِّ وضوح، ممكن أن يكون عتلاً و
كما يقولُ المثلُّ الشعبي:

(بالفوتة حمال، وبالطلعة زبال)

له فوائدُ أخرى يا مدام، يُستفادُ منه بالثوراتِ
والمسيراتِ والانتخاباتِ البرلمانيةِ والتشريعيةِ
والتنفيذيةِ، يهتمُّ بكلِّ صوت، ينبحُ مع كلِّ كلب، يمشي
خلفَ القطيع، والمطلوبُ منك هو ما يلي ومن غيرِ أيِّ
اعتراض:

(الله يعينو)

(عم يتعب)

(من طلعتها لغيبتها)

(البيت يلي ما فيو رجال، ما منو فائدة)

ومن كلام المداماتِ المُقدَّراتِ، بين الجُمَلِ والعباراتِ،
وبدك تتحملي، كيفَ ما كنتِ، بالزور بالحب
بالصرماية بالقانون بالدين بالعادات بالتقاليد، أنتِ
الضحيةُ بينَ كومةِ الجراباتِ الرجالية، وبالنهاية:

(الله يعين قلبك على هالريحة)

(ويحكوا)

حدّثيني عن لونِ أحمرِ الشِّفاهِ الذي تضعينه على
شفّتيكِ، أقولُ لكِ من أنتِ!

(شو بدك أكثر من هيك صراحة)

مدامتُنا الموقرة، ستُّ الحسنِ والجمالِ
والكمالِ في عالمِ الدراما، يُدقِّقونَ على التفاصيلِ
الكاذبةِ التي تصطادُ الحيتانَ في قعرِ المحيطِ، تفاصيلُ
مُرَبَّكةٌ ومملَّةٌ
وقاتلةٌ لسحرِ العدسةِ التي تلتقطُ لقطةً تافهةً من أجلِ أنْ
يقولَ عنها المجتمعُ الخرائي:

(والااااا)

واو شو يا ابن الحرام، عن أيّ تفاصيلٍ يتحدثون، إنها
فوضى الدراما، وبعد أن اكتظت الشاشات باللقطاتِ
أضحى مُلتقظو العدسة يأخذون الأشياءَ التافهة حتى
يُشعروا المشاهدين بالحماس، بالضبط كمن يقطع في
التلفازِ الفقرة الحارة ويؤجلها للحلقة التي تليها، إنها
رؤيةٌ بوليسيةٌ قذرةٌ لتنشيفِ دماغِ المواطنِ المنتوفة
طيز أبوه، المهم يا مدام،

أحمرُ بكافةِ صفاته وكطبقاته هو ذاك الجزء الصَّغيرُ
في بطولةِ رجلِ فلتان وقع في سريرِ أنثى مُشتعلة، أنا
أريدُ منك أن تُدققي على كلمةٍ مُشتعلة، إنها قادرةٌ على
أن تُشعلَ ذاتها بكلِّ لونٍ وبكلِّ حفلٍ وبكلِّ موجةٍ من
فصولِ السنة.

يُقاسُ كلُّ شيءٍ بالجنونِ والألم!

الرغبةُ أَلْم، الحبُّ أَلْم، الشَّوْقُ أَلْم، الجنسُ أَلْم،
ويقولونَ عنه أيضًا إِنَّهُ ممتَعٌ ورائعٌ، هم يقولونَ كذلك،
هم يُجيدونَ الكذبَ على كلِّ شيءٍ وحتى الكذبَ على
الآلهةِ

وعلى الذات، هم يَقتنعونَ بالحقيقةِ
ويخشونَ مقابلةَ الواقع، بكلِّ بساطةٍ يا مدام، والحقُّ
يُقال:

هل رأيتِ منديلَ مزيلِ أحمرِ الشفاهِ الذي تَمسحينَ بهِ
شفتيكِ وبعدَ ذلكَ تُلقينَ بهِ في المزبلةِ! هُم وذاكِ
المنديلُ في سلةِ المهملاتِ، وأكبرُ سلةِ مهملاتِ حَمَلَتْ
أطنانَ من عظامِ البشرِ هي الكرةُ الأرضيةُ، إلى هذهِ
اللحظةِ كلُّ تركيزِكِ على التفاصيلِ، أنا أعلمُ جيدًا أنكِ
تبحثينَ عن شيءٍ يُشبهُكِ في هذهِ النظريةِ، وأجزمُ
100% أنَّ كلَّ حواسِكِ رافعةٌ هيدروليكيَّةٌ في لوحةِ
رَسامِ قَرَفٍ من رَسَمِ الحبِّ في مرسِمِهِ واشتهى تلكِ
الإناثِ.

الجميع ينتظرون، وبعد الانتظار يأتيهم الاحتضار،
بدهم إياك بالحرام أو بالحلال يعني بدهم إياك، إن شاء
الله بتفكري حالك جوهرة نادرة يا سحارة الفجل!

يا مدام أنتِ مادةٌ مُستهلكة، وعلى الأغلب مُستبدلة،
الرغبات كالطُّقوس تتقلبُ كما يُقلبُ اللهُ الليلَ والنهار،
أنتِ من أهلِ الليل، ومن أجلِ أنْ يكذبوا أكثرَ يُشبِّهونك
بالقمرِ وبالبدرِ وبالنجوم، والسَّاحرُ الذي ينشرُ سُمَّهُ لمْ
ينشرِ سحرَهُ من أجلكِ أنتِ كأنثى، هؤلاءِ الحمير لا
يفهمونَ ولا يُقدِّرون معنى الأنثى، جميعُهُم لديه تلكَ
العدسة الدرامية لالتقاطِ تلكَ التفاصيل،

ويستبدلُ اسمكِ وشكلكِ وتأخذينَ دورَ البطولة، وبعدَ
المُشاهدةِ والمُعايَنةِ

والاستهلاكِ، للأسفِ يا مدام، وبلا أي زعل:

(ما عاد حدا يتعرف عليك)

النظريةُ الآنَ يقرؤها ألفٌ من الرّجالِ لهذا السببِ
اخترتُ العنوانَ المذكّرَ للنظريةِ التي يتساءلُ العقلُ
البشريُّ الصّحيحُ والسّليمُ من كوارثِ المعتقداتِ
المُعقّدةِ والعاداتِ القذرةِ:

(كيفَ لي أنْ أخسرَ أعلى ما أملك، ولكن من غيرِ أي
شعورٍ بالألم؟)

فلنبداً إذن:

إلى شراميطِ اللُّغةِ والرّسمِ والتقاطِ الصُّورِ وكتابةِ
الشّعْرِ ونحّاتي التّمائيلِ
والمشتعلةِ نفوسهم بلعابِ ثاني أكسيدِ السكس، تعالوا
معي لأريكم ذاكَ الجوابَ لسؤالِ النظريةِ المُطلقة:

(إزالة الشعر من غير ألم)

(ويحكوا)

اليومُ الخامسُ من شهرِ مايو من عامِ 2020 للميلاد،
ماذا يعني أن ترى العالمَ يَنهارُ بطريقةٍ كوميديةٍ
مُؤدلجة، بينما يراها غيرُك مهزلةً جنونيةً من
الطبيعة! مزحةٌ راح ضحيُّها آلاف البشرِ في فيروسِ
صغيرٍ لا يُرى بالعينِ المجرّدة، إنّه زمنُ (الكورونا)،
سوفَ تعرفُ في المستقبلِ بأننا نحنُ النّاجونَ
الوحيدونَ من هذه الأُزمة، سوفَ نكونُ ملفّ جدلٍ
ساحقٍ وماحقٍ في أروقةِ الشيفرةِ التي لم يستطع أحدٌ
من البشرِ حلّها!

ماذا تقول؟

نعم، شيفرةٌ مُعقّدةٌ ومتقدّمةٌ بإشاراتِ التعجبِ والاستفهامِ
في قرنِ الخبرِ العاجلِ، إنّه الخبرُ الذي يَخرجُ لنا عبرَ

الأجهزة النّقالة قبل حدوثِ الحدث، إنها ليستُ مزحةٌ
إنَّه جنونُ الطاقةِ والهروبُ من مُواجهةِ الذاتِ الخُلبيّةِ،
وتوجيهُ كلِّ تلكِ الأسئلةِ التي لا تُريدُ الإجابةَ عنها أمامَ
محكمةِ الذاتِ!

لماذا؟

ما هو المخيفُ بأن تُواجهَ نفسك؟

تخشى من التجرُّد! وأنتَ بينَ كلِّ هذا الفناءِ الغارقِ
بالعُرِّيِّ أو تخشى العُرِّيِّ مثلاً؟ مهزلةُ المزحةِ، بل
مزحةٌ في مهزلةِ قرنِ الطاقةِ وتفجّرِ عالمِ الاستثنائيةِ،
وإبرازُ الأديانِ على أنها تجلبُ الأرزاقَ
وتنمّي القدرةَ والطاقةَ الرُّوحيةَ، وتجعلُ من القيمِ خيالاً
واسعَ المدى ليسَ له أيُّ صدى، ومن التقاليدِ ثقافةً

ذهبيةً مُشبعةً بألوانِ الدراما كي تُغطيَّ على رائحةِ
العفنِ والظلمِ.

تريدُ أن تكونَ شيئاً يُميِّزُكَ بين الناسِ، حتى تُثبتَ لهم
أنك أقوى وأشجع، وحتى تصنعَ لنفسك هالةً وأسطورةً
دكتاتوريةً لامعةً، ألهذا الحدّ تخشى من الفناء؟ دوامةٌ
من التراكُماتِ المُغلَّفةِ بالأساطيرِ
وآلامِ الظهرِ والرَّقبةِ واليدينِ والدِّماغِ،
وأسوأُ دوامةٍ هي دوامةُ الوهمِ.

أنا لا أعرفُ كيفَ يذهبُ المُراهقونَ
وغيرهم من أشباهِ المُراهقينَ إلى السينما، يشترونَ
الفوشارَ وزجاجاتِ البيبسي
وألواحَ الشوكولا لمشاهدةِ فلمِ رُعبٍ في كهفٍ مُظلمٍ
أمامَ شاشةٍ أقربَ من السُّرعةِ الضَّوئيةِ برصاصةٍ

طائشة استقرت في عنق طفل ليس له علاقة عاطفية
مع المجرمين!

مرطبات وعصائر وبعض المكسرات لمشاهدة فلم
رعب!

أريد أن نصل معاً إلى تلك النظرية التي تقول:

(إزالة الشعر من غير ألم)

نشاهد ونستمع ولا نتألم! نحن في فوضى بين الخيال
والواقع أليس كذلك؟ إنها المهزلة الأكثر إثارة في قرن
السُرعة والطاقة الزائدة والرّفاهية التي سجنت العقل
البشري عن رؤية الواقع بعينين حقيقتين من غير أيّ
لون زائد فوق الصّورة أو جزء محذوف من الفيديو!

إذا همسَ أحدُهم في أذنكَ وأنتَ جالسٌ بينَ الكراسي
تُشاهدُ ذاكَ الفلمَ المُرعبَ الذي يَسحقُ المشاعرَ ويجعلُ
منها أداةً للتَّسليةِ وقالَ لكَ ذاكَ القريبُ:

أخوكَ ماتَ قبلَ قليلٍ في حادثٍ سير!

سوفَ تتركُ فلمكَ المرعبَ، سوفَ تتركُ السينما،
وتُلقي بكلِّ تلكَ الثَّرَّهاتِ التي تأكلُها في ضيافةٍ لقطَةٍ
مُؤلَّمةٍ، سوفَ تصرُخُ بأعلى صوتِكَ إنْ كانَ بينَكَ
وبينَ أخيكَ ذكرياتٍ جميلةٍ أو ربما تعيسةٍ، سوفَ
ينهشُ لُبَّكَ وتبكي وتخرجُ وتركضُ وربما يتوقفُ الفلمُ
ويرالكَ الناسُ وأنتَ تنهارُ.

أنتَ الآنَ تتألَّمُ ولكنَّ الذي يُؤلمكَ ليسَ بينَكَ وبينه رابطةٌ
جسدي، إنَّه رابطةٌ حسيَّةٌ وعاطفيَّةٌ، سوفَ تتقلبُ
النَّظريةُ عليكَ

وتنعكس لنقول:

(إزالة الشعرِ بآلةِ مؤلمة)

ولكن بعدَ مُدةٍ منَ الزمنِ سوفَ تنسى كلَّ شيءٍ، سوفَ
يختفي ذلكَ الشَّبْحُ الذي تربطُكَ بهِ علاقةٌ عاطفيةٌ
ويَتَلاشى كلُّ شيءٍ، الانفعالاتُ لا تأتي عن عبثٍ، إنها
تُلَقَّنُ في الذهنِ كما يُلقَّنُ الطفلُ الأوهامَ
والخرافاتِ والزَّعْبَةَ والقيم، ولكنْ هناكَ أشخاصٌ
أعرفُهم في الثَّنائيةِ المتَمِّمةِ لكتابي الأول:

(لطيزي)

وأدوّنهم في كتابي هذا بحوادثٍ فعلوها قصداً حتى
يَنتهوا من تلكَ التراكماتِ المُخيفةِ الموجودةِ في

داخلهم، ولكن هذا الكتابُ تحتَ عنوانٍ وأنا لستُ أسفًا
على مُدُوناتي:

(لأيري)

وسوفَ نكونُ أرقامًا في زمنٍ جديدٍ لأجيالٍ جُدد لا
يكثرثونَ بأسمائنا ولا بعواطفنا ولا بأيِّ شيءٍ يَخصُّنا،
سوى أننا أرقامٌ وإحصائياتٌ في كتبهم الإلكترونيّة، إنه
عالمٌ لا يُشبه غباءنا، إنه القرنُ الجديدُ لجيلٍ حقيقي،
أتمنى ألا يكونَ جيلًا كاذبًا كجيلنا، أتمنى ذلك فعلاً،
هل فهمتُم يا جيلَ الكورونا؟

(ويحكوا)

معادلة الانتظار،

إذا أردت معرفة المساحة عليك أن تضرب طول الخازوق بعرض لذة الخازوق لتعرف المساحة في معادلة الانتظار.

اليوم السادس من شهر مايو من عام 2020، عندما أفتح دفتر مذكراتي أجد أسماء مترجمة، أسماء لأشخاص أعرفهم، وأشخاص أتمنى أنني لم أعرفهم في حياتي، أشعر بالذنب لأنني عرفتهم ولا أجد البرنامج المناسب لحذف تلك الأسماء لأنها محفورة في مخيلتي قبل أن أضعها في دفتر المذكرات، أكره مواجهة الذاكرة، ومع ذلك وجدت الفرصة المناسبة لمواجهتها، إنه قانون التحدي، والسؤال الرائد الذي يدور في دماغي:

مَنْ يَتَحَدَّى مَنْ؟

أنا أتحدّي الماضي والمستقبل والحاضر، أنا الذي
أجيدُ دورَ الضحيةِ ودورَ القاتلِ
والمقتولِ، أُشيعُ كلَّ المآسي على نعشِ الذاكرةِ وأستمرُّ
بالكذبِ حتى أهربَ من فِتْنَةِ الوقتِ، أكتبُ وأنا خائفٌ
مِمَّا أكتبُه، لأنَّ ما أكتبُه على فراشِ الموتِ يَختلفُ
تمامًا عمَّا كنتُ أكتبُه وأنا أسيرُ إلى المكتبةِ لأكتبَ
الخيالَ من أجلِ شهرةٍ أو مركزٍ بينَ الناسِ، عندما
أيقنُ أنَّ ما يجري أكبرُ بكثيرٍ من أشباحِ يطوفون
حولكَ ويدَّعونَ حبكَ وبغضكَ في آنٍ واحدٍ، قصدتُ
بابَ التحرُّرِ من الخوفِ، هذا المُفتاحُ الوحيدُ الذي
سوفَ أنجو بهِ من الخيالِ والكذبِ المُستمرِّ والطاقةِ
الدراميةِ التي اتَّخذتها من أجلِ إرضاءِ فلانٍ وعلتانِ،
هنا فقط أجيدُ الكتابةَ، وأشعرُ بحريةِ يدي وحريةِ
دماغي، لا سلاسلَ دينيةَ، ولا عُقدَ طائفيةَ، ولا زنزانةَ
قوميةَ، لستُ تبعًا لأحدٍ ولا أتقاضى راتبًا من أحدٍ، هنا

فقط أعرفُ ماذا أريدُ أنْ أصنع، أمسكُ الهاتفَ لأتصلَ
بسجنِ النساءِ في مدينةِ لينز النمساوية:

- ألو، مرحبًا، معكَ الكاتبُ زهير أبو سعد، أريدُ
التَّحدُّثَ مع السيدةِ ساندرَا إذا سمحتِ.

- حسنًا سيدي، انتظر قليلًا.

يتركُّني للصمتِ، أنا أعيشُ في دوامةِ الصمتِ، إنه
السِّجْنُ الذي تقضي به ساندرَا عامها الثَّاني على
التوالي، أحبُّها تلكَ السيدة التي يُصادفُ اليومَ عيدُ
ميلادِها الثالثِ والأربعينِ، حُكِمَ عليها بالسِّجْنِ مُدَّةَ
أربعةٍ وعشرينَ عامًا مع الأشغالِ الشَّاقةِ، إنها ليست
مُجرِّمةً، لديها طاقةٌ صادقةٌ مع مشاعرها ولكنها
متهورةٌ جدًّا، لا تستطيعُ السيطرةَ على الخيالِ، إنَّ كلَّ

مصائبها من الخيالِ ورَدَّةِ الفعلِ السَّلبيةِ التي جعلتْ
منها سجيناً تُعاملُ مُعاملةَ المجرمينِ.

أحبَّتْ شاباً، كانت تعملُ في مجالِ الرسمِ، لديها
متجرُها ولوحاتها وألوانها وخيالها، وكانت تتعاطى
المخدراتِ، تَخشى مِنَ الصَّوتِ والصَّمْتِ، تَخشى من
اللونِ الداكنِ موجةَ النورِ، تَخشى مِنَ النِّوافذِ المُشرِّعةِ
وَمِنَ الماءِ الساخنِ رجفةً يهزُّها الألمُ، ليس لديها
أصدقاءٌ مع أنها بكاملِ جمالها، ليس لديها أحبةٌ لأنَّ
الأحبةَ استغلُّوا قلبها وحنانها، هجرتِ النَّاسَ جميعهم
ووجدتْ بالمخدراتِ ملجأً لها وَمَنفساً للضغطِ الهائلِ
على صدرها،

أحبَّتهُ وأدَّعى حبها، وطلبَ منها أنْ تتركَ المخدراتِ،
فَتحَّتْ بيتها له، وعاشَ معها شهراً ونصفاً، وأخذَ
بيدها إلى مركزِ الإدمانِ، دخلتُهُ للعلاجِ مدةَ شهرٍ
كاملٍ، عاهدَها أنَّه سوفَ يُساعدُها ولن يخونها في

غيابها، وتركت البيت وتركت صوتهُ للظلِّ والظلامِ
والخوفِ وشجاعةِ التَّركِ.

أسبوعٌ مضى في مركزِ العلاجِ، اتَّصَلتُ بها جارتُها
وأخبرتُها أنَّ حبيبها قد أحضرَ معه فتاةً مُشتعلةً
بالرَّغبةِ، اتَّصَلتُ به لتتأكَّد، لكنَّهُ أخبرها بأنَّه يُعدُّ
الطَّعامَ وحدهُ في البيتِ، كذبَ عليها ولم تُصدِّقه،
وهربتُ من المركزِ إلى متجرها، أخرجتُ سلاحها
وذهبتُ إلى البيتِ، فتحتُ البابَ على مهلٍ فوجدتهُ مع
فتاةٍ أخرى يُمارسُ الخيانةَ على سريرها،

سريرها الذي خانها عليه، ورفعتُ السِّلاحَ وأطلقتُ
النَّارَ فسالتُ الدِّماءُ على الأرضِ مُعلنةً فوزها على
الصَّعبِ والخرافِ

والآلهةِ والبشرِ والحجرِ والأرواحِ الشريرةِ التي
زارتُ بيتها في غيابها، وجاءت اللحظة:

- ألو، مرحبًا صديقي زهير.

صوتها قادمٌ من جهنم، صوتها أجملٌ من صوتٍ مَنْ
يُرْتَلُونَ صُحُفَ اللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ
وَالْقَدِّيسِينَ، صوتها الجنةُ التي أُحِبُّ:

- مرحبًا ساندرًا، كلُّ عامٍ وأنتِ بخير، لم أنسَ عيدَ
ميلادِك ، سوفَ أرسلُ لكِ باقةً من الوردِ وقطعةً من
الكاتو أتمنى أن تقبليها مني.

- شكرًا أستاذ زهير، أتمنى لك الشفاء العاجل يا
صديقي، أحبك كثيرًا، أنا أنتظرُ زيارتك.

وأغلقنا سماعة الهاتفِ للقدر، للحياةِ أو للموت، هل
وصلتُ ساندرًا إلى نظرية:

(لأيري)

حتى تحملَ سلاحًا وتقتلَ نفسًا من أجلِ إخمادِ نار
الغيرةِ في قلبها؟

ساندرا يا جميلة اللوحاتِ الخريفية، اشتقتُ لكِ وأنا
أسفٌ لأنني كتبتُ قصَّتكَ، أنتِ التي طبَّقتِ المسألةَ
المتشابهةَ التي تقول:

(إزالةُ الشعرِ من غيرِ ألم)

أنا هنا، أشتاقُكَ كثيرًا. عيدٌ سعيدٌ يا حلوةَ الذاكرة.

(ويحكوا)

الخيالُ لعنةُ العشاق، والعشقُ اسمٌ من أسماءِ الحب،
والحبُّ له تسعٌ وتسعونَ اسمًا من أحصاها دخلَ الجنة،
والسبيلُ إلى الجنة ممتلئٌ بالأشواكِ والآلام، موحلٌ
بالمخاطرِ كما يروي لنا عشقُ ذاكَ الخيالِ الواسع، هم
يتحدّثون عنها ليلاً ونهاراً، أناسٌ من بني جلدتنا من
تلك الطينة التي ألزمتنا أن نكونَ منها، حسناً نحنُ
منها إذن!

هذا اليومُ الأولُ لي في منزلي بعدَ عودتي من
المشفى، قضيتُ ثلاثةَ أسابيعَ أتعالجُ من ألمٍ في
جُمجمةِ رأسي، ولكن في المبنى الذي أعيشُ به تَعيشُ
جارتِي التي تَبْلُغُ مِنَ العَمْرِ خمسينَ عامًا، امرأةٌ ثَبُطَةٌ
ثَقِيلَةُ الوَزنِ والمكانةِ، يَحِبُّها كُلُّ مَنْ يَعِيشُ هُنَا،
نمساويةٌ الأَصْلِ ولكنَّها من عَائِلَةٍ مُسْلِمَةٍ!

لا يُهمُّ من أيِّ الديانات كانت، المهمُّ أنها تعيشُ وحدَها،
إنها البروفيسورة:

(مريم)

دكتورةٌ في جامعةِ العقائدِ والأديانِ في كُليةِ الشريعةِ
في جامعةِ فيينا العريقة، طيبةٌ وخجولة، تَرْتدي جِلْبَابًا
واسعًا

وشالًا أسودَ تُغْطِي بهِ رأسَها، إذا رأيتها عَشَقْتَهَا،
عاشتُ في دمشقَ ثماني سنواتٍ وفي السُّعوديةِ سنتينِ
وكانتُ تُحاضرُ في جامعةِ أمِّ القُرى وتُسافرُ إلى الدُّولِ
العربيةِ والإسلاميةِ لتُلقِي المحاضراتِ التوعويةِ.

ولكنَّها وحدَها!

إنها رهبانيةٌ مُشَبَّعةٌ بالقسوة، تتكئُ بعُكازِها ومريضةٌ
جدًّا، أكتبُ عن بعضِ تفاصيلِ حياتِها وهي لا تُعرفُ،
وربَّما سوفَ تُعرفُ لاحقًا، وأيضًا لا يُهمُ،

ولكنَّها وحدها!

عندما تراني قادمًا باتجاهِ مبنى العمارة، تقول:

يا ابني إحمل عني هذه الأكياس.

تبتسمُ وأبتسمُ لابتسامِتها، عيونُها غائرةٌ زرقاءُ كأنَّها
سماءٌ صافيةٌ ووجهُها مُتَّسعٌ

وكبيرٌ وخداها قد أفقدتْ توازنَ شفَّتها، تمشي ببطءٍ
وتلثتُ،

يا إلهي!

أخشى أن تموتَ ولا يعرفُ عنها أحداً.

ولكنني مثلها تماماً في الوحدةِ وفي الألمِ في سنِّ اليأسِ،
نحنُ نخشى من الوحدةِ

ومن اليأسِ، نخشى أن نكبرَ ونشيبَ

وتظهرَ علينا التجاعيدُ، نخشى ألاَّ يُنجِدنا أحدٌ، لأننا
نعيشُ في قارةٍ تهتمُّ بالسرعةِ

والطاقةِ، ونحنُ قد فقدنا طاقتنا

وشحنتنا التي نريدُ أن نواجهَ بها الحياةَ.

حالي من حالها، أشتهي رؤيتها، ولكنني عاجزٌ عن
الخروجِ من عتبةِ البيتِ، عاجزٌ عن السيرِ، عاجزٌ عن
كلِّ شيءٍ في ذروةِ الثلاثينِ من عمري، ولهذا السببِ
توقفتُ عن الخيالِ، وعن انتظارِ العشقِ والحبِ،

وعن مُساعدةِ الآخرين لي، فقط أكتبُ لكي أنجو من
الحقيقةِ المحشوةِ بين دفتي صدري، كلُّ هذا العمر
الذي مَضَى

وأنا أنتظرُ شيئاً أن يحدث، وكلُّ الأشياءِ التي انتظرْتُها
لم تأتِ وعندما توقَّفتُ عن الانتظارِ أتت في الوقتِ
الضائعِ من العمر، أتت في مرحلةِ اليأس، أتت ويا
ليتها لم تأتِ.

جميعنا عالقونَ بينَ مقنصةِ الماضي

والمستقبل، والهدفُ مرسومٌ على ساعةِ فراقِ هذا
الكون، وعندما تفهمُ وتعي فلسفةَ الانتظار، سوف
تتوقفُ عن الانتظار، تقولُ جارتِي البروفيسورة مريم:

كلُّ شيءٍ قضاءٌ وقدر، نحنُ سلّمنا أمرنا لله سبحانه
وتعالى.

سعيدٌ من أجلها، لأنها وجدتْ شَمَاعَةً تُعَلِّقُ كُلَّ هذا
الكم الهائل من الحقيقةِ على رفِّ القضاءِ والقدرِ، وأنا
ما زلتُ أبحثُ عن تلكِ الفلسفةِ وكلِّ ما أبحرتُ في
ماهيتها أكثر، صُدمتُ بشيءٍ خفيٍّ ومُبهمٍ يُريدُ
الانقضاءَ على خناقنا، لقد نَزَعَتْ مريمُ كلَّ آلامها
بآلةِ القضاءِ والقدْرِ وحسبتُ تفكيرَها بما سيحصلُ وبما
حصلَ بها

وتوقَّفتُ عن التفكيرِ كُلِّيًّا، ولكن دائمًا أفكِّرُ بفكرةٍ ما
جَري وما سيجري وأسالُ نفسي:

لماذا أُشغَلُ هذا العقلَ بهذه التفاهاتِ؟

إنَّها الحلقةُ الجحيميةُ التي ندورُ في داخلها ولا نستطيعُ
الخروجَ منها،

(ولأيري)

فَكَرْتُ أَوْ لَمْ أُفَكِّرْ، فَلَنْ يَتَوَقَّفَ دَوَارُ الْأَرْضِ حَوْلَ
الشَّمْسِ بِسَبَبِ تَفْكِيرِي بِهَذِهِ الْأُمُورِ.

إِلَى الدُّكْتُورَةِ مَرِيْمِ وَفِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ أَرْسَلْتُ لَكَ تَحِيَّةً طَيِّبَةً:

رَمَضَانُ كَرِيمٌ، وَكُلُّ عَامٍ وَأَنْتِ بِخَيْرٍ.

(ويحكوا)

الشَّاشَاتُ الصَّغِيرَةُ التي يَتَسَمَّرُ خَلْفَهَا ملايينُ البشرِ،
ويعصرُ من خَلْفِهَا برامِجُ الأملِ وأنَّ الحِياةَ تَسْتَحِقُّ
وأنَّ هناكَ شيءٌ يَنْتَظِرُكَ وأنكَ سوفَ تَفْعَلُ شيئًا يُغَيِّرُ
مَسارَ هذا العالَمِ إلى الإِيجابِيةِ، والذي يَبْعَضُكَ أَكْثَرَ
هو:

أنتَ شَخْصٌ اسْتِثْنائِي.

كَيْفَ ولِماذا؟

لا أَحَدٌ يَعْرِفُ، وإِذا عَرَفَ أَحَدُهُم فِلسَفَةَ أَنْ تَكُونَ شيئًا
مَهْمًا في الحِياةِ فسوفَ يوصَفُ بالجنونِ المُطلقِ، ليسَ
علينا أَنْ نَقْلِقَ لما سيجري أو لما جرى أو لما يحدثُ
هذهِ اللحْظةِ، ولكنَ هناكَ سؤالٌ مَهْمٌ جَدًّا يَجِبُ أَنْ
تَعْرِفَهُ:

إذا كانَ الجميعُ يَبْحَثُ عن الاستثنائيةِ
والشُّهرةِ والنُّجوميةِ في الحياة، فمن هو المُستثنى من
هذهِ المعركة؟

ستعرفُ عاجلاً أو آجلاً أن تلكَ المعركةَ عبارة عن
وهم، أترك كلَّ هذا الجنون ولا تتبَّع أحداً ولا تتبعني
لأنك لا تُحبُّ الحقيقةَ ومن منا يُحبُّ الحقيقة!

نادرونَ من يَبْحَثونَ عن فلسفةِ الحقيقة، والأغبي من
هذا الهُراءِ كلهُ أن الجميعَ

يَظنونَ أنَّهم على حقٍ وغيرهم على باطل، فوقَ هذا
الرَّفِّ الزائفِ تُبنى الأحكامُ

وتُشرَّعُ الحدودُ وتُنصبُ الجيوشُ وتُرفعُ المشانقُ
ويقتلُ بها البريءُ ويُصبحُ المجرمُ شخصاً وطنياً
وقائداً عامّاً لحفنةٍ من الأدمغةِ المأجورةِ لتُصَفِّقَ

وَتُطَبَّلَ وَتُزَمَّرَ لِهَذَا وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ
الْحَيَاةِ.

لماذا كلُّ هذا الجري المُفرط في لعبة الاستثنائية طالما
الجميع يعرفُ جيدًا أننا سوف نُغَلَّفُ في تابوتٍ قابلٍ
للطَّعنِ أو في فُرْنٍ لمحرقَةٍ ما تحت الأرض!

إنَّهم يَخشون من الفناء، من الموت، من العدم، من
التفكير، فتجدُ الجميع يُريدُ أن يُثبِتَ للطَّرْفِ الآخرِ بأنَّهُ
قادرٌ على أن يفعلَ شيئًا حتى ولو كانَ هذا الشيءُ
دمويًّا!

اليومُ هو الثَّامنُ من شهرِ مايو من عامِ 2020 م،
خلفَ هذا اليومَ وُلدتُ صديقتي باسكل الروسية
الأصل، وبمناسبةِ يومِ مولدها كتبتُ لها رسالةً عبر
إيميلها الخاصَّ باللغةِ الألمانية:

جمعة مباركة إلى صديقتي باسكل
أعلم جيداً أنّك مشغولة في هذا الوقت،
وبمناسبة عيد ميلادك، كلُّ عامٍ وأنتِ الأجل
والأحلى، اعتني بنفسكِ جيداً،
وسوف أهديكِ الأبيات التي تقول:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ
وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ

ودمتِ بخيرٍ حبيبتي.

وأرسلتُ الرّسالة، لا أحبُّ الاتصالَ بها في هذا الوقت
لأنّها تعملُ في أحدِ الباراتِ في العاصمةِ فيينا، وهذا
البارُ خاصٌّ لأحدِ الفنادقِ الذي ينزلُ به النُّزلاءُ

الخليجيون العرب، قبلَ ثلاثِ سنواتٍ أحبَّها رجلٌ
عربيٌّ خليجيٌّ من المملكةِ السعودية، ربما كانَ الرجلُ
سكرانًا ووقعَ في حبِّها، ومع أنَّه (لا مَنظرَ ولا
مَحضر) إلا أنَّه راقَ لها شيئًا جديدًا ليسَ موجودًا في
مشاعرِ الغربيينِ العاطفية، المسكينةُ كانتِ الآثارُ
الجانبيةُ للوقوعِ بالحبِّ واضحةً عليها،
ومعَ أنَّها وقعتْ (وما حدا سمى عليها) إلا أنَّها جاءتْ
تَسألني، ماذا تفعل؟

هناك مثلُ حورانيِّ يقول:

(خربان ومو دريان)

أخبرتها ألاَّ يَسْتَغَلَّ جسدَها وحریتها الشخصية،
أخبرتها ألاَّ يَدْخَلَ في ما تُريدُ أن ترتديه أو الأشياءِ
التي تُحبُّها، أخبرتها أنَّ العقلَ العربيَّ عبارة عن سجنٍ

صغيرٍ تجلسُ فيه أنتي قد حُكِمَ عليها بالسجنِ المؤبد،
تحدّثتُ كثيرًا، ولكن لا أعرفُ كيف وقعتُ في سجنِ
قلبه إن كانَ لديه قلب!

كنتُ أعتقدُ أنّها كانتُ منفصلةً عن الواقع، لأنه أغرقها
بالهدايا والوعود، وجعلَ منها قضيةً يجبُ أن تدخلَ
في محرابه،
وقالت:

إنّها مستعدةٌ لتغييرِ دينها من أجله، وسوف تفعلُ
المستحيلَ للبقاءِ معه، وقلتُ لها:

لا تُحاولي!

ولكنّها قالت:

سوف أُجرب.

قلتُ لها:

الحياةُ مع رجلٍ عربيٍّ ليست مكانًا للتجربة، ستكونين في ذمّته مدى الحياة، الحبُّ يَختلفُ جذريًّا عن الحياةِ الزوجيةِ الرُّوتينيةِ، الإفلاتُ منه صعبٌ جدًّا، ومع ذلكَ أتمنى لكِ التوفيقَ يا حلوة.

كانَ عمرُها في ذلكَ الوقتِ واحدًا وأربعين ربيعًا، واليوم يُصادفُ عمرُها أربعةً وأربعين حربًا من الدّمار، فالتجربةُ علّمتها أن تكونَ حائطًا بسببِ قصةِ حبٍّ تحت تأثيرِ الكحول، وحملتُ حقيبتها وحلّقتُ نحوَ أرضِ الخرافِ والبعيرِ والحرارةِ المرتفعة، تزوجتُ منه وغيرتُ دينها من أجله وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ بالضبطِ اتّصلتُ عليَّ باكية!

مجنونُ الصَّحراءِ قد أشبَعها ضَرْبًا لأنَّها خرَجَتْ إلى
البلكونةِ عارية، كانت تريدُ أن تُعرِّي جسدَها للشمسِ
ولكن حُكْمُ الدينِ

والرجالِ يَخْتَلِفُ هناك، عرفَ أنَّها فعلتْ شيئًا مُهينًا
لشرفِ الذكورِ، فلم يتمالكُ نفسه ليشبَعها ضَرْبًا،
وهربتْ منه إلى السفارةِ الروسيةِ لِيُنجدوها وتعودَ
مكسورة القلبِ والروحِ حيثُ الباراتِ

والليالي الحمراء، ورَفَعَتْ قضيةَ انفصالِ
وطَلَّقَها ورَفَعَتْ قضيةَ إيذاءِ لجسديها فعَوَّضَها، ورَفَعَتْ
قضيةَ عدمِ التعرضِ لها فَمُنِعَ من دخولِ أيةِ دولةٍ
تكونُ هي بها،

وانطلقتْ للحياةِ مرةً أخرى ولكنْ بقلبٍ مكسورِ.

أنثى ميتةٌ تَظُنُّ أنَّها على قيدِ الحياة، ويا أسفاهُ عليها،
قد طبَّقتْ القاعدةَ التي تقولُ:

(الأيري)

لا تَبْحَثُ عن الاستثنائية في الحبِّ وفي الحياةِ وفي
الموتِ، كُنْ عقلانيًّا، ولا تُجْحَشْ واشحط ألف فرام
قبلَ أية معركة.

كلُّ عامٍ وأنتِ حلوة يا سكرَ فيينا.

ولأيري الحياة ويلي فيها.

(ويحكوا)

المّحن لا دين له، بتشديد الميم يا شعب الميم وكسر الحاء، والنون ساكنة، وأمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، كيف سأعرف لكم كلمة المّحن؟

هو جزء لا يتجزأ من مشوار طويل المدى، من مُسلسل الرّغبة اليوميّ لمواطنٍ (مو عارف وين ربو حاطوا) هناك من يُعرّفه بالكبت أو بالجموح أو باللذة الحيوانية، أي نعم، مجموعة من كمشة تعاريف أساسها أنّ هناك شخصٌ مجنونٌ جنسيًا يريدُ أن يُفرغَ طاقته بجدار!

لا علينا

المهمُّ بعدَ إصداري للكتابِ الأوَّلِ للنَّظريةِ تحتَ
عنوان:

(لطيزي)

ونشرها عبرَ موقعي الخاصِّ ليُحمِّلها القارئُ بالمجانِ
عبرَ برنامج (PDF) وقد أعلنتُ لجمهورِ القراءةِ
بصوتِ عالٍ أنَّ هذا الكتابَ يُمنعُ بيعه،

ومن هنا بدأتُ رسائلُ المّحنِ تنهالُ عليَّ من كلِّ فجِّ
عميق، رسائلُ عبرَ بريدي الإلكترونيّ وعبرَ
الماسنجر، أشخاصُ

ورحمةُ أمي لا أعرفُهم ولم ألتقِ بهم

وليسَ بيني وبينهم أيةُ صلةٍ نسبٍ أو قرابة، وكانت
الرسائلُ حسبَ العددِ ما يُقارب الألفي رسالة، كلُّهم
شبابٌ من كوكبِ العروبةِ المُشبعِ بالخيبات، ولا أريدُ
أنَّ أشيرَ لتلكَ الخيباتِ لأنَّ جُلَّ الشبابِ العربيِّ يعرفُها

ولكنَّ الكبتَ وصلَ منتهاه، كانتَ الرسائلُ تخصُّ
غلافَ كتابي، حيثُ ظهرتُ صورةُ رجلٍ عارٍ قد بانَتْ
مؤخرته بشكلٍ واضحٍ، ربما أثارتُ صورةُ الغلافِ
مُحرِّكَ الكبتِ في طنجرةِ الرَّغبة، وتدافعَ المحمونونَ
بحثًا عن حسابي الشخصي
وهذا الكلامُ كلُّه في يومٍ وليلةٍ ولا أعرفُ إلى الآن هل
سأتلقَى مزيدًا من الرسائل، كلُّ ما أعرفه:

إنَّ اللهَ أعلم.

هناك زحمةٌ كبيرةٌ للسؤالِ المطروحِ بينَ جُلِّ الرسائل:

هل هذه المؤخرةُ هي مؤخرتي؟

يا فضيحتك يا زهير، لا تقلقْ لا فضيحة

ولا رِيَّة ولا سكينَة، ونظريةُ الكتابِ الثاني الذي تَقْرؤه
الآن تحتَ عنوان:

(لأيري)

وتأكيدًا على أغنية فيروز:

مُش فارقة معاي!

ألقىتُ نظرةً عامَّةً على التدافعِ العامِّ للرسائل، والسؤالُ
كانَ يدورُ حولَ ثُقُبِ الأوزونِ وتقلُّباتِ المناخِ
الجنسية، وقعَ نظري على رسالةٍ صاحبها اسمه:

نواف عبد العال الشمري

كتب لي:

(هاي)

الحسابُ وهميٌّ من المملكةِ العربيةِ السعودية، وأنا
كالعادةِ رَدَدْتُ برسالة:

وعليكم الهاي ورحمةُ اللهِ تعالى
وبركاته!

حاولتُ أن أفهمَ المعادلةَ بين تحيَّته الإنكليزية وبين
عروبتِه القومية لم أجد حلًّا أبدًا سوى أنني أريدُ أن
أعرفَ ماذا يُريدُ فقط، والله العظيم فضول لا أكثر!

أستاذ زهير معك نواف من السعودية.

في الحقيقة تَوَسَّمتُ به خيراً، وقلتُ في نفسي بأنَّه قرأ الكتابَ ويُرِيدُ النقاشَ معي في محورِ النظرية، ولكن جاءت الرسالةُ الثانيةُ حيثُ تقول:

طيزك عالميةٌ يا أستاذ، أحبكم في الله يا أستاذ وأتمنى أن نكونَ أصدقاءً لأنك كسرتَ نمطيةَ الكتابِ العرب، حيثُ أنَّ لديك مؤخرَةً عالمية، ولو سَمَحْتَ لي الفرصة لزيارتك لزررتك!

بعدَ هذه الرسالة استعملتُ لغةَ الـ: (Plok) أي عدم تلقي أية رسالة من نواف.

هناك أزمةٌ كبيرةٌ اسمها أزمةُ الكبت، حيثُ المجتمع المنغلق سوفُ يُحاول أن يتعاطى الجنسَ مع نفسِ جنسه، والسببُ واضح:

ليسَ هناك مغريات، كلُّ شيءٍ مُغلقٍ
وممنوع، سوفَ يَنشأُ جيلٌ بأكمله يَبْحَثُ عن الجنسِ
ذاته، الذَّكَرُ مع الذَّكَرِ، والأنثى مع الأنثى، ودائمًا
يتساءلون:

لماذا الشَّبَابُ لا يَتَزَوَّجون؟

الميولُ يا حبيبَ أمك، الميولُ وما أدراكُ ما الميولُ،
طبعًا هذا لا يعني أنني لا أحترمُ الميولَ حتى لا
يَصْطاد أحدهم في الماءِ العِكرِ، أنا لستُ ضدَّ أحدٍ ولا
أعترضُ أيَّةَ رغبةٍ من رغباتِ أحدٍ، وأحترمُ الجميعَ
ولكن بحدودٍ وعندَ حدودي خطُّ أحمر، أقبلُك كما أنتَ
ولكن لا تَقْتَرِبْ مِن جَسدي ولا مِن حريّةِ رأيي،
ودخيلك:

(لأيري)

خلي الكل يضاجع الكل، وفي النهاية تحية طيبة^{٢٦}
لمجتمع الميم بأكمله^{٢٦}
وللبشرية بأكملها وتبقى هناك مساحة كبيرة^{٢٦} يجب أن
يفهمها المنغلقون:

(أنسنة الجنس مُقدّمة على التّعصب
واستعمال العُنف)

(ويحكوا)

شعبٌ شرموطٌ بالفطرة، ان فرضَ عليه أن يكونَ هيك
مع شوية دراما، أتفهُ شيء أن تُشاهدَ السوشل ميديا
عن بُعد، جمهورٌ أحمقٌ يتصنّعُ التعاطفَ من أجل
جمع اللايكات وشدّ الجمهور إليه ولكن بطريقة:

شرمطة!

و على عينك يا تاجر، وحتى التاجر أضحي يعرف
اللعبة، وكما يقول المثل الشعبي: (يصنع من الحبة
قبة)

اليوم الثامن من مايو، والعالم العربي ضجّ بفيديو
مُسرّب من عام 2015 م، وهو عبارة عن مجموعة
من المراهقين عذبوا قطة حتى الموت، وحدثت
الحادثة في أمريكا،

وحسبَ البحثِ عنِ المَصَدْرِ سُجِنَ المَراهِقُونَ سِتِّ
سَنَوَاتٍ وَغُرِّمُوا، شَيْءٌ حَدَثَ فِي المَاضِي وَلَكِنَّ
الحَاضِرَ مَأسَاوِيٍّ لِأبْعَدِ القَرَفِ، حَاضِرٌ مَعَ وَاقِعٍ مُشْبِعٍ
بِالدِّمِّ وَالدُّلِّ وَقِلَّةِ الحِيلَةِ، وَأَنَا رَوَيْتِي لِلحَادِثَةِ بِأَنَّ هُنَاكَ
مِشَاهِدٌ أَقْسَى مِمَّا رَأَيْتُ حَالِيًا.

البشرُ لَا يَرَحْمُونَ بَعْضَهُمْ أَبَدًا، انظُرُوا إِلَى المِشَاهِدِ
فِي العَالِمِ العَرَبِيِّ: (مِصر، اليَمَن، سوريَا، لِبْنَان،
العِرَاق وَالصُومَال) كُلُّ لِحْظَةٍ يَمُوتُ النَّاسُ بِسَبَبِ
الجُوعِ

والمَرَضِ وَالفَقْرِ، كُلُّ يَوْمٍ هُنَاكَ آلَافُ المَعْتَقَلِينَ فِي
سُجُونِ الأنظَمَةِ العَرَبِيَّةِ يَمُوتُونَ بِسَبَبِ الضَّرْبِ
وَالظُّلْمِ، أَطْفَالٌ تَنهَالُ عَلَيْهِمُ بِيوتَهُمُ وَيَخْرُجُونَ مِنْ
تَحْتِ الأنقَاضِ وَدمِهِمُ يُسِيلُ عَلَى مَرَأَى الشَّاشَاتِ
العَرَبِيَّةِ، وَلَكِنْ لَمْ أَشَاهِدُ تِلْكَ الضَّجَّةَ الَّتِي حَدِثَتْ
لِلقِطَّةِ.

إِنَّهُ مَجْتَمَعٌ شَرْمُوْطٌ وَلَكِنْ بِمَارَكَةِ حَقِيْرَةٍ
وَقَاسِيَةٍ فَيَمَّا بَيْنَهُمْ، هُنَاكَ شَعُوْبٌ يُهَجَّرُوْنَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ
إِلَى بِلْدَانٍ أُخْرَى وَرَبَّمَا إِلَى الْخِيَامِ، لَا طَعَامَ وَلَا لِبَاسَ
وَلَا بَيْتًا يَأْوِيهِمْ، وَالْأَحْقَرُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَرْتَفَعَ أَجْرَةُ
الْبَيْوتِ وَكَأَنَّ الْمُهَجَّرِيْنَ كَنْزٌ ثَمِيْنٌ وَيَجِبُ تَجْفِيْفٌ دَمِهِمْ
مِنْ أَجْلِ إِيْوَاءِ يَحْمِيهِمْ مِنْ لَعْنَةِ الطَّقْسِ،

وَلِلْأَسْفِ، الشَّبَابُ تَطِيْرُ أَحْلَامِهِمْ
وَيَلْجَأُوْنَ لِلْعَمَلِ فِي مَعَامَلِ قَذْرَةٍ بِأَجْرِ رَخِيصٍ حَتَّى لَا
يَمْدُوْا أَيْدِيَهُمْ لِلْحَرَامِ،
يَا حَرَامٌ عَلَى هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ، وَالْمَصِيْبَةُ أَنْ لَا أَحَدٌ يَرْحَمُ
أَحَدًا، وَالْكُلُّ يُصَلُوْنَ لِلَّهِ الْجَنَاطَةَ وَالضَّحَايَا، وَالْكُلُّ
يَعْتَمِدُوْنَ عَلَى الدِّيْنِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيْدِ، دَوَامَةٌ مِنْ
الْكَذْبِ وَالنَّفَاقِ حَتَّى ظَلَّ اللهُ تَدْوِرُ فِي حَلْقَةٍ جَحِيْمِيَّةٍ
غَارِقَةٍ بِالنَّارِ وَالدَّمِ وَلُقْمَةَ الْعَيْشِ الْمُغْمَّسَةَ بِأَلْفِ رَفْسَةٍ.

وعندما أرى هذا الكوكب، لا أحد يرحمُ أحد، أقفُ عندَ النصِّ في كتابي هذا الذي يقول:

(لأيري)

لا يُمكنُ الخروجُ عن النصِّ، نحنُ جزءٌ مِنَ النصِّ،
جزءٌ صغيرٌ في معركةِ الحياةِ
وإثباتِ وجودنا حتى لو بالظلم، أريدُ أنْ أكتبَ بصوتِ
عالٍ حتى تتهدَّمَ مجالسُ الكذبِ والرياءِ والمفاخرةِ
بالقتلِ وإشباعِ الغليلِ، وا أسفاهُ على البشريةِ!
يقتتلونَ من أجلِ فكرةِ حمقاءَ لإبقاءِ شخصٍ نازيٍّ أو
إثباتِ فكرةٍ دمويةٍ،
والجميعُ يريدونَ أنْ يبقىَ حمَّامُ الدَّمِ يَغسلُ العدساتِ
والشاشاتِ؛ لتسرقَ المنظماتُ الإنسانيةُ ويُباعَ السِّلاحُ
للجانيِ الجزارِ، ويبقى الموتُ يوثِّقُ أرقامَهُ القدرةِ
لأشخاصٍ كانوا بالأمسِ بيننا واليوم أضحوا ذاكرةِ

نبيهم ونبي لأجلهم، يَكْفِيكُمْ كذِبًا وَنُبَاحًا عَلَى الْمَنَابِرِ
وَفِي مَجَالِسِ الدِّينِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ، شَوْهَتُمْ صُورَةَ
الْإِنْسَانِ بِطَمَعِكُمْ وَدَمَوِيَّتِكُمْ

وَخَطَابَاتِكُمُ النَّازِيَّةَ، تَصَالِحُوا مَعَ أَنْفُسِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ
جِيلٌ يَلْعَنُكُمْ وَيَلْعَنَ دِينَكُمْ
وَقَوْمِيَّتَكُمْ الْحَقِيرَةَ.

إِلَى قَطْرِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهَا:

نَحْنُ لَا نَصْلِحُ أَنْ نَكُونَ عَقْلَانِيَيْنَ، نَحْنُ أَقْدَرُ مِنْ
كَدْرَةِ عَتِيقَةٍ فِي أَسْوَاقِ النِّفَايَاتِ، وَإِلَى الْأَرْقَامِ الَّتِي
يُسْرِقُ

وَيُنْهَبُ وَيُقْتَلُ بِأَسْمِهَا لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ مِنَّا لِأَنَّنا مَجْتَمَعُ ابْنِ
شَرْمُوطَةَ.

(ويحكوا)

لديّ ضعفٌ كبيرٌ في الذاكرة، أنسى كلَّ شيءٍ
باستمرار، أتركُ صنوبرَ الماءِ مفتوحًا، أبحثُ عن
السُّكرِ بينَ البهارات، بابُ منزلي دائماً مُشرَّعٌ، يأتي
صديقي كريستيان من العملِ ليطمئنَّ عليّ، يسألني:

لماذا بابُ البيتِ مفتوحٌ، هل تنتظرُ أحدًا؟

فعلًا أنا لستُ منتبهًا لبابِ المنزل:

لقد نسيتهُ مفتوحًا، لم أقصد!

أريدُ أن أكتبَ كلَّ شيءٍ قبلَ أن أفقدَ ذاكرتي، أنا الآنَ
قلقٌ بسببِ آفةِ النسيانِ، أريدُ أن أفصلَ الواقعَ عن
الخيالِ، ولكنَّ إرادتي مُقيدةٌ بشوقي للماضي،
صوتُ أمي في كريدورِ البيتِ يُقيِّدُ كلَّ حركةٍ في
قلبي، ظلُّ أبي العائدِ من العملِ مُرهقٌ ومُتعبٌ من
همِّنا وهمِّ الحياةِ، مُشاجرةٌ أخويةٌ في الغرفةِ المُتمركزِ
بها الكمبيوترِ من أجلِ لعبةِ (زول) ورائحةُ الطَّعامِ
تُعرقلُ ما أريدُ أن أكتبه، إنها حقيقةٌ عشتُها في بيتِ
صغيرٍ عبارة عن غرفتين وصالةٍ وبقايا حنينٍ ونغمٍ
لفيروز وهي تُغني:

وينون؟ وينون!

مع بساطةِ الماضي إلا أنني لم أنسَ شيئاً منه، نسيْتُ
ما كنتُ أريدُ التَّفكيرَ به

ووقعتُ في فخِّ الماضي والخيال، كائت لأمي شامةً
زرقاءُ اللون تحت ذقنِها،

ووشمٌ على ساعدها، قلبٌ حبِّ فيروزيٍّ

وشعرٌ مُنفلتٌ للسرّاب، وأنا هناك أقفُ خلفَ شقِّ باب
المطبخِ الصَّغيرِ لأراقبَ ما تُعدّه لنا من طعام، كلُّ ما
كنتُ أريدهُ هو مساعدتها فقط، لم تُنجبِ إناثًا ولكنْ
أنجبتِ أربعةً من الذُّكورِ وكانَ ترتيبِي الثاني من
الذُّكورِ، أتذكّرُ صوتها عندما كنتُ أدخلها للحمامِ في
مرضِ موتها الأخير، وكلماتها عندما كنتُ أسكبُ
على جسدها الماءَ الدافئَ وأفرّكُه بالشَّامبو:

اللهُ لم يرزقني بالبناتِ ورزقني بقلبٍ أطيّبٍ من مليونِ
بنت!

كانتُ تمسكُ يدي تُريدُ أنْ تُقبّلها، وكانَ الموقفُ
يُزعجني جدًّا، أنا لي شرفٌ تقبيلِ يديكِ يا يُمّة،

كالعروسِ جميلةٌ وشهيةٌ لا تُميزُها بيننا وكأنَّها أختٌ
لنا، ليسَ لنا سواها أمٌ وأختٌ وحبّيةٌ وصديقةٌ في
الدُّنيا، وكلُّ ما أعرُفه عن هذه المرأة أنها:

فقيدة

وأفقدتني الذاكرةَ برحيلها المبكّر، إن دخلتَ إلى قلبي
فلنَ تعرفَ كميةَ الحبِّ المخزونِ لتلك المرأة التي كنتُ
أدعوها بيمةً.

ياااااه يا حبيبةَ الرُّوحِ والفؤاد، ما أجملَ صورتكِ في
ذاكرتي وفي روعي
وفي جوفي!

إنها الجنّةُ في صدري ولو عَرَفَ بها الملوكُ
لبارزوني عليها بالسُّيوف!

الواقع بالنسبة لي موحشٌ جدًا، عندما يُدخِلني صديقي كريستيان إلى الحمامِ لقضاءِ الحاجةِ أو أتكئُ عليه في ذهابي إلى الطَّبيب، أو عندما يُعدُّ الطَّعامَ لي ويهتمُّ بتفاصيلِ أيامي الأخيرة، أتذكَّرُ تعاملِي مع أمي في نهايةِ حياتِها، شيءٌ غريبٌ وعجيبٌ الذي يحدثُ، إنَّ الذي يحدثُ يُشبِّهني ويُعرِّي الذَّاكرةَ من كلِّ شيءٍ حتَّى أرى بها نفسي وأنا أحملُ أمي إلى الطَّبيبِ وأعدُّ لها الطَّعامَ وأحاولُ الاهتمامَ بتفاصيلِها، إنَّ التاريخَ يُعيدُ نفسَهُ ولكنْ بصديقٍ بارٍّ لدرجةٍ لا أحدَ يتصوَّرُها. أستنزفُ الذَّاكرةَ لأبقى على قيدِ الحياة، ولكنْ أنسى تفاصيلَ بسيطةً كأنَّ أطفئَ الضَّوءَ أو أشربَ الدَّواءَ. ما هوَ المطلوبُ مِنِّي في هذهِ اللَّحظاتِ النَّهائيةِ لسُرعةِ الضَّوءِ؟

سؤالٌ سألتُهُ لكريستيان:

ما هو المطلوب مني يا كريستيان في هذه اللحظات؟

الجواب كان:

أكتب كل شيء، أكتب الشيء الذي تميل إليه، والشيء الذي يشبهك، ولا تراهن على ردة فعل القراء أو جمهور الأدب، صدقني سوف تشعر براحة كبيرة، وسوف يرسل الله لك من يقف بجانبك من أجل الكلمات الصادقة الموجودة في قلبك!

هل عرف كريستيان أن ما أكتبه الآن هو مضمون ما عنونت به الكتاب الثاني للنظرية التي تقول:

(لأيري؟)

أعتقد بأن كريستيان يعرف أن الذي أكتبه في هذه
الأثناء هو زبدة الحقيقة وعدم التخفي خلف العبارات
لحل لغز الجمل الرنانة، لا مكان للخيال في موجة
الألم التي أشعر بها في هذه الأيام القليلة سوى أنني
أنسى كل شيء إلا صوت أمي وظل أبي ومُشجرة
أخوتي على لعبة كمبيوتر، وأنا ذاك الصبي الذي لا
يزال واقفاً خلف شق الباب ينتظرُ نجدة أمه وأن تُلبي
صوت النداء، أحبك يمة، يابة، أخوتي، كريستيان،
فطومة، خلود حسين وكل من وقف معي في آخر
لقطة لي مع مواجهة الحقيقة، شكراً يا رفاق.

(ويحكوا)

نَسْتَعِينُ بِالْكَذِبِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نُوْهِمَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّ السَّعَادَةَ
دَارُنَا وَمَلَائِكَةَ اللَّهِ جِيرَانُنَا،
وَنُكْدِسُ عَلَى رِفَافِ الْخِيَالِ الْأَمَلِ
وَالْتَفَاؤُلِ، وَنَلْطَمُ خَدَّ الذَّاتِ بِالصَّبْرِ
وَالِاحْتِسَابِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى خُرَافَةٍ، وَنُزَيِّنُ مَا تَبَقَّى مِنْ
قَوَانَا بِالمَقُولَةِ الْأَكْثَرِ احْتِبَاسًا لِمَفْهُومِ الهَرُوبِ مِنْ
الوَأَقَعِ:

(بكرى أحلى)

وَنَهْرَبُ مِنْ السُّؤَالِ الْأَكْثَرِ تَدَاوُلًا مِنْ العُمَلَةِ الصَّعْبَةِ
فِي سَوَاقِ البُورْصَةِ الدُّوَلِيَّةِ:

لماذا تَخْدَعُ نَفْسَكَ؟

نَحْنُ مَنْ نَتَأَثَّرُ بِالْحَقِيقَةِ، بِأَنْ يُوجِّهَ لَنَا أَحَدُهُمْ مَا فِيْنَا مِنْ نَقْصٍ وَهَزَائِمٍ، نَكْرَهُ أَنْ يُظْهَرَ لَنَا أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ ذَاكَ الشَّرْحَ الْمَدْمِي الظَّاهِرَ عَلَى خَطَوَاتِنَا، وَنَحْنُ نَعْلَمُ جَيِّدًا بِأَنَّنا نَسِيرُ فِي الْإِتِّجَاهِ الْخَطَأِ،

وَنُكَابِرُ عَلَى أَنْفُسِنَا بِأَنَّنا نَسِيرُ فِي الْإِتِّجَاهِ الصَّحِيحِ، وَنُحَاوِلُ أَنْ نُدَافِعَ عَنْ تَصَرُّفَاتِنَا الَّتِي تُؤْذِنَا قَبْلَ أَنْ تُؤْذِيَ غَيْرِنَا، مُحَاطُونَ بِتِلْكَ الْأَبْهَةِ فِي الْحَفْلَةِ التَّنْكَرِيَّةِ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَكُلُّ يَوْمٍ تَقْنَعُ بِقِنَاعٍ جَدِيدٍ لِنُظْهَرَ لِلآخِرِينَ بِأَنَّنا نَحْنُ الْأَقْوِيَاءُ فِي عَالَمِ السَّرْعَةِ الرَّقْمِيَّةِ، وَأَنْتَ كَفَرِدٍ تُرِيدُ أَنْ تُثَبَّتَ لِلآخِرِينَ بِأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تُثَبَّتَ لَهُمْ أَنَّكَ الشَّخْصُ الْمُمَيِّزُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، مِتْنَاسِيًا ذَاتَكَ وَأَنْتَ تَجْلُدُهَا بِأَشْيَاءٍ لَا تَرُغِبُ بِفَعْلِهَا وَتُحْمَلُهَا مَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِ نَظْرِيَّةٍ:

(أُثْبِتْ وَجُودَكَ)

تتهربُ من كلِّ منافذِ الأسئلة، وخصوصًا ذاك السؤالُ
الذي يُطارِدُكَ كَشَبَحٍ مَلْعُونٍ بَعْدَ كُلِّ مَعْرَكَةٍ وَجُودِيَّةٍ:

لماذا تُريدُ أن تُثبتَ للأخريينَ بأنَّكَ قادرٌ
وأنتَ في نفسِ الوقتِ تُكابِرُ على حملِ أطنانٍ من
الوهمِ على عاتِقِكَ؟

يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهَا بِاللُّجُوءِ إِلَى هَذِهِ النِّظَرِيَّةِ:

(الأيري)

دعِ القلقَ وحاولِ أن تكونَ فاشلاً بشرفٍ، سوفَ تَنجُحُ
صِدِّقَنِي فِي مَعْرَكَةِ أَعْظَمِ فِاشِلٍ فِي التَّارِيخِ، وَبَعْدَ أَنْ

تتخلّى عن كلّ تلك الأحلام الوردية سوف تجد نفسك
وتكسب ودّها، تلك التي أرهقتها بمضمار التميز.
إنّ مشاعرنا لا تختلف عن أجسادنا البتّة، فكّما
ارتديت الكثير من الثياب سوف تشعرُ بالعرق
والحرارة التي ربّما ستفقدُ فيها الحياة، وكلّما تخلّيت
عن تلك الأبّهة والأقنعة سوف ترى كم هي حركتك
خفيفة كطائرٍ يُرفرفُ في السّماءِ حرّاً طليقاً، ومن هنا
بدأت بالتخلّي عن جميع أحلامي وخلعتُ كلّ الأقنعة
وشعرتُ بمعنى أن أكون حرّاً، فلو سألتني عن
الماضي الذي عشته سوف أجيبك عنه بكلّ أريحية
ولنّ تُهمّني النّتائج إن كانت إيجابيّة أو سلبيّة فيما بعد
الإجابة، هكذا كانت إجابتها عندما خيروها بين أن
تبقى مع من تُحب وبين أن يتخلّى عنها أهلها في زلّة
حبّ كما يُقال، إنها خديجة من أصول جزائرية تحملُ
الجنسيّة النّمساوية من عائلةٍ مُسلمة،

وقعت في حبّ شابٍ كتلوكيٍّ من أصول نمساوية،
طالبة في كلية العقائد والأديان في جامعة فيينا، لا
أعرف كيف صدرَ منها كلُّ هذه القوّة بعد أن تخلّى
عنها أهلها من أجل حبِّ خارج حدود الدين!
أحبُّ وجهها الذي يُشعرك بالطمأنينة وحجابها
وجمالها وصلابتها، وأيضًا حبيبها رفض أهلها تلك
العلاقة بسبب تعصّب مذهبٍ مسيحيٍّ وأضحى الشّاب
يُدرّسُ ويعملُ من أجل ألاّ يخذلَ حبّه لها، هل أتقنوا
لعبة:

(لايري؟)

ماذا سيقولُ الناسُ عنها؟ كيف ستواجهُ كلَّ هذه الكمية
من الكراهية والتعصّب الدينيّ والقوميّ من أهلها؟
كيف ستردُّ على كلِّ تلك الأسئلة التي تصدرُ من حثالة
بشرٍ متطقلين على واقعها؟

تَزَوَّجَتْ خَدِيجَةً مِنْ أَلَكْسَنْدَرَ فِي الْمَحْكَمَةِ الْمَدْنِيَّةِ فِي
السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لَهَا مِنَ الْجَامِعَةِ، وَحَرَسَتْ حُبُّهَا بِالصَّبْرِ
وَالجَدِّ الْقَاسِي مِنْ مُحِيطِهَا حَتَّى أَضْحَتْ ضَحِيَّةً
الوَاحِدَةَ،

وَدَفَعَتْ الثَّمَنَ غَالِيًا وَلَكِنْ كَانَ حُبُّهَا عَظِيمًا تَتَكَيُّ عَلَيْهِ
كَلَّمَا أَجْهَدَهَا الْأَلْمُ وَالْيَأْسُ،

تَخَرَّجَتْ مِنَ الْجَامِعَةِ بِالذَّفْعَةِ الْأُولَى عَلَى أَصْدِقَائِهَا
وَلَكِنْ هُنَاكَ شَيْءٌ لَمْ يَكْتَمِلْ بَعْدَ، فِي حَالِ عَوْدَتِهَا
بِفَرْحَةٍ نَجَاحِهَا دَهْسَتْهَا سَيَارَةٌ عَابِرَةٌ اجْتَنَّتْ رَوْحَهَا.

رَوْحُهَا غَرَّدَتْ لِلنُّورِ، بِكَيْثٍ كَثِيرًا عَلَيْهَا عِنْدَمَا جَاءَ
الْخَبْرُ، جَنَازَةٌ بِأَهْلِ وَلَا أَحَبَّةً، وَوَسَدَتْ التَّرَابَ بِيَدِ
حَبِيبٍ أَعْطَتْهُ أَعْلَى مَا عِنْدَهَا، وَأَنَا هُنَاكَ أَقْفُ عَلَى
قَبْرِهَا لِأَوْدِعَ الْخِيَالَ وَأَكْتُبَ الْحَقِيقَةَ.

لم يَعُدْ للخيالِ تأثيرٌ على واقعي لأنني تَخَلَّصْتُ منه،
وكتبتُ الذاكرةَ كما هي، رحمك اللهُ يا خديجة، حيثُ
كانَ آخر صوتٍ سمعتهُ لها:

لا تنسَ أستاذ زهير، أنا أنتظرُكَ في حفلِ التَّخرج!

كانت متأثرةً جدًا برواياتي وخيالي،
وكنْتُ متأثرًا جدًا بقوتها وشجاعتهَا، أنا أكتبُك الآنَ
حتى يترحمَ على روحك جميعُ مَنْ قرأَ وَمَنْ سيقْرأُ
واقعي.

إلى الرُّوحِ البعيدةِ التي سكَّنتُ في جوفِ النَّفسِ:

(وداعًا) يا صديقتي.

(ويحكوا)

ما هو الفرقُ بين الشعراءِ العربِ وبائعي الملابسِ
الداخليةِ النسائيةِ؟

هل يهْمُكَ الجوابُ؟

وإذا كانَ يهْمُكَ فما الفائدةُ إذا عرفته؟ بالضبطِ هو حالُ
أيِّ شخصٍ منّا إذا تعرّضَ للمقارنةِ بينَ شيئينِ فما
الفائدةُ؟ كالحياةِ مثلاً، ما الفائدةُ من وجودنا؟

سوفَ أُخبرُكَ عن الفرقِ بينَ الشعراءِ العربِ وبائعي
الملابسِ الداخليةِ فيما بعد! لا تستعجلْ لأنني أعلمُ جيداً
أنَّ السُّؤالَ مُستفزٌّ جداً كما عنوانُ الكتابِ الذي يراه
الكثيرُ منَ المُتخفّينَ بالطائفيةِ والقوميةِ والعاداتِ
والتقاليدِ فيه خدشٌ للحياءِ العام!

يَهْمُكَ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُمْ الْعَام؟

نَحْنُ نَدُورَ بِحَلْقَةٍ مُفْرَغَةٍ مُقْنَعَةٍ كاذِبَةٍ وَذُكُورِيَةٍ جَعَلَتْ
مِنَ الْآلِهَةِ رَبِّ، سَحَبُوا تَاءَ التَّأْنِيثِ مِنْ تِلْكَ الْقَوَاعِ
الْمُؤَنَّثَةِ

وَوَضَعُوهَا فِي قَالِبِ جَمْعِ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ،
وَمَعَ هَيْكِ اللَّهِ يَكْسِرُ إِيديكُمْ عَلَى هَالِعمَلَةِ السُّودَةِ!

يَتَسَابِقُ الشُّعْرَاءُ عَلَى صِفِّ الْكَلِمَاتِ فِي وَصْفِ أَنْثَى،
يُجَرِّدُونَهَا تَارَةً وَتَارَةً يُلبَسُونَهَا ثَوْبَ الْعَفَافِ، يُسَوِّقُونَ
مُنْتَجَاتِهِمُ الْكَلَامِيَةَ لِلْمَهْزُومِينَ عَاطِفِيًّا عَبْرَ أَحْرَفِ
مُرَكَّبَةٍ عَلَى حَسَبِ طَقْسِ الْكَاتِبِ وَمُيُولِهِ وَشَغْفِهِ
لِاحْتِضَانِ أَنْثَى وَلَكِنْ كَمَا يَقُولُ جَمَاعَةٌ حَرْفِيًّا:

(بِحَرْفِيًّا)

دخيلك و عرفت أو لم تعرف بالنهاية:

(لأيري)

عرفت أو لم تعرف، فلا فائدة من كل ما ذكرت سوى استنزاف الشعوب التي تعيش على المهذئات الطائفية والقومية، حتى المهذئات التي ذكرتها آنفاً وجودها هو سبب واضح لشل حركة العقل البشري من عمله، هنا الجميع يخاف من العقل لأنه مصدر القوة، وإن عاد العقل لمهنته الإنسانية فإن مصالح أصحاب المال والدين والسباق نحو المناصب سوف تتعطل ولن تجد طائفاً ولا طائراً يُحلق حول حجر أو يقف على غصن شجرة. اليوم جاءني سؤال من أحد رواد التواصل الاجتماعي فحواه:

ما رأيك بنزار قباني ونجيب محفوظ؟

هل يهْمُكَ الجواب؟ وإذا عرفتَ جوابي ما الفائدةُ التي ستبني عليها موقفكَ ضِدِّي أو معي؟ ليسَ هناك ما يُخيفُ طالما أنَّ وجودي بينكم بلا فائدةٍ سوى استهلاك الأوكسجينِ وأخذ دورِ أحدِ البشرِ الذي رُبَّما يصنعُ شيئاً يُفيدُ بهِ البشريَّةَ، كانَ جوابي برأيه فيه شيءٌ من قِلَّةِ الأدبِ، ولهذا السَّببِ لا أحبُّ أن أُعطي رأيي لأيِّ أحدٍ ولأنَّ جوابي لا فائدةَ منه ولكن أجبتُهُ حتى أُسكِّتَ تطفلةً وأقولُ إجابتي الشَّوارعيةَ بكلِّ وضوح:

نزار قباني مَسَّاحُ كلماتٍ للكلاسيينِ النَّسائيَّةِ ولكن حُرْفِيًّا، ونجيب محفوظ كنتُ مُتَحَفِّظًا على مَكنونِهِ الأدبي الذي أخرجَ رُبْعَهُ للمجتمعِ ولو كانَ هناكَ وعيٌ في المجتمعِ وتقبُّلٌ للآراءِ فسَتَرى نجيبَ محفوظَ قِبلةً أدبيةً فِكْريةً يُحجُّ إليه من كلِّ فجٍّ عميقٍ.

الشُّعراءُ العربُ في نظري كلُّهم يلهثون وراء ثقبِ الأوزون، ويلعبون دورَ الضَّحيةِ من أجلِ الوصولِ إلى الهدفِ مدري الشغفِ مدري الرَّغبة، وأعودُ إلى السؤالِ الذي طرحتهُ في البداية مع أنَّ السؤالَ لا يُهمُّني ولا حتى الإجابة، الفرقُ بينَ الشُّعراءِ العربِ وبائعي الملابسِ الدَّاخِليَّةِ النَّسائيَّةِ هو: إمَّا سترُ الأنثى بالثِّيَابِ أو تعريتها بالكلماتِ وخلفَ التَّعريَّةِ والستِّرِ هناكُ روحٌ تموتُ بالتجزئة، ممنوعٌ عنها كلُّ شيءٍ من أجلِ الحفاظِ عليها، أليستْ هي شرفٌ وعرضٌ وحرامٌ وممنوعٌ!

إذَنْ هي سلعَةٌ وكذبَةٌ وخديعةٌ، الكلُّ يكذبُ في الصِّفَةِ
المُؤنَّثةِ بينَ الإباحيَّةِ

والمنع، ووجودها كوجودِ المُذكَرِ تمامًا إلا أنها كانت
آلهةً وبعدَ ذلكَ استُعبدتْ لأنَّ عقلها أكبرُ مِنَ الذَّكَرِ
ويمكنك أن تأخذَ جوابي وثرَيبه كما تُريدُ وفي النَّهايةِ
لا يسعُنِي إلا أن أقولَ لك:

(لأيري)

(ويحكوا)

مع ارتفاع ضغط الدّم في رأسي، مع قلّة الأوكسجين الذي لم يعدّ يكفي في رئتي، مع فقد كلّ أنواع الرّغبة في الحياة، اتّصلَ بي الطّبيبُ بعدَ أن عُدْتُ إلى البيت وأخبرني بما يجبُ عليّ أن أفعل، وطبعًا الطّبيبُ النَّفسيُّ له دورٌ في تدهورِ حالتي النَّفسية ولكنّ بطريقةٍ رفعِ معنوياتي بطريقةٍ إيجابية، فكانَ الاتّصالُ عبرَ الواتساب لتكونَ المكالمةُ جماعيّةً

ولتقليلِ الالتقاءِ الجسدي لأسبابٍ صحيّة، نحنُ في زمنِ الكورونا حيثُ أضحَتْ مُجملُ اللّقاءاتِ افتراضيةً ولهذا السّببِ مُنشئُ الفيسبوكِ وبعْدَ أن أكرَمَ الأممَ الافتراضيةً برمزِ (أحببته) فاجأنا برمزِ (ضممته) من خلفِ الشّاشةِ الصّغيرةِ أتلقّى جميعَ المشوراتِ النَّفسيةِ والصّحيّةِ من طبيبينِ رائعين، فمن ضمنِ المشوراتِ التي تلقيتها أدلى الطّبيبُ النَّفسيُّ مشورتهُ كالآتي:

عليك أن تزور صديقًا قريبًا لك تضمُّه أو يضمُّك.
لأشعرَ بالسَّلامِ الدَّاخِليِّ ولأَتَخَطَّى صُعُوبَةَ الوَحْدَةِ
ومَرارةَ الانطواءِ الذي أوْشَكَ أنْ يُرْدِينِي طَريحا
للاكتئابِ الحادِ.

في الحقيقةِ فَكَّرْتُ مَلِيًّا بِالرَّائِعِينَ في حياتي، أولئك
الذين كانوا وما زالوا يُقَدِّمونَ لي الحبَّ على طَبَقٍ من
رِضا، أَحْضَرْتُ دَفْتَرَ مُذَكِّرَاتِي لِأُفْتِشَ عَنْهُمْ، إِنَّهَا
أَسْمَاءٌ لِاتِينِيَّةٍ كَتَبْتُهُمْ فِي سَطُورٍ قَلِيلَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ سَافَرَ
إِلَى بَلَدٍ آخَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ انشَغَلَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَادَرَ
الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ نَقُولَ لَهُ:

(وداعًا)

أمضيتُ حياتي مُسافرًا في العلاقات، ومُتنقلاً بين
الصّدّاقات، ومُتهوِّراً في إظهارِ مشاعري الطفوليّة،
ثلاثونَ عامًا

وأنا أُستهلكُ لإرضاءِ فلانٍ وعلتانٍ مِنْ غيرِ أيِّ شفقةٍ
لذاتي، وها أنا ذا أواجهُ الذاتَ التي جلدتُها بكلِّ وسائلِ
القسوةِ حتّى فقدتُ القدرةَ على إرضاءِ ذاتي، مسكينةٌ
ذاتي الآنَ وكمَ أنا قاسٍ مع مَنْ حولي في بدايةِ عام
2020 م، لأنَّ التَّجربةَ والتكرارَ بكلِّ بساطةٍ جعلَ مِنْ
قلبي حجراً صلباً لم يعدْ يتأثّرُ بشيءٍ، فرحتُ أُطلقُ
الأحكامَ على الآخرينَ بلا أيّةِ شفقةٍ حتى أضحيّتُ
وحيداً بكلِّ ما تعنيه الكلمةُ مِنْ نفيٍ وعُزلةٍ، عزلتُ
نفسي مِنْ النَّاسِ سوى مِنْ ذاكَ الجميلِ صاحبِ العُيونِ
الخضراءِ الذي أنقذني مِنْ مَرَضِي وتعاسيةِ وحدثني.

أُقلِّبُ دفترَ مُذكَراتي وأسماءَ لأناسٍ صادفتُهم في
مَسيرةِ حياتي التي ذهبَتْ سدى، هكذا وَمِنْ غيرِ مُبررٍ

ذهبت حياتي وأنا أشاهدها بلا أي نفع، وقعت عيني
على كلماتٍ وضعتها لروايةٍ أسميتها:

(لا تفلت يدي)

رحلتُ جانبيت وبقِي حبيبها، الشابةُ اليتيمةُ التي انقضَّ
عليها السرطانُ

وهي في عنفوانِ شبابها، وبقيتُ شاهدةً قد كُتِبَ عليها:
(جانيت لا تفلت يدي) حملتُ ما تبقى من قواي
وركبتُ المواصلاتِ إلى المقبرةِ وهناك توقعتُ ألا
أجدَ أحدًا سوى الصّمتِ ولكنْ تفاجأتُ بحبيبها جالسًا
عندَ قبرها قد غزاهُ الشيبُ في سنِّ الثلاثين والتّجاعيدُ
قد غيرتْ ملامحَ وجهه، لم أشأ أن أفسدَ ذاك السُّكونَ
لأعودَ مسرعًا نحوَ بابِ المقبرةِ، سمعتُ صوتهَ:

أستاذ زهير لماذا تُغادر؟

عُدْتُ إِلَيْهِ وَجَلَسْتُ بِجَانِبِهِ، كَانَ جَالِسًا وَبِقَرْبِهِ ثَلَاثُ
عَبَوَاتٍ مِنَ الْبَيْرَةِ وَزَجَاجَةٌ وَسَكِي وَسِيْجَارَةٌ مَرْجَوَانًا.
فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْبُؤْسَ الَّذِي حَلَّ بِنَا سَبَبُهُ حِينَ ظَنَّنَا
بِالْقَدْرِ وَاهْتَمَّامْنَا لِغَيْرِنَا، وَلَكِنَّ الْقَدْرَ دَائِمًا يُمَارِسُ
هُوَ آيَةً لَطْمِهِ لِمَشَاعِرِنَا، وَغَيْرِنَا يَدُوسُ عَلَى مَا تَبَقَّى
مِنْ مَشَاعِرِنَا حَتَّى نَصِيرَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً،
وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى نَظْرِيَّةِ:

(لأيري)

فَقَدْتُ كُلَّ مَشَاعِرِي تَمَامًا، وَبَقِيْتُ سَجِينَ الْمَاضِي
وَسَجِينَ الصَّدَاقَاتِ الَّتِي وَارَثَ التُّرَابَ رَغْمًا عَنِ
صَدَقِنَا وَتَمَسَّكْنَا بِهِمْ،
وَسَأَلْنِي:

لماذا أتيت إلى هنا؟

جانيت كانت تحبُّ أغنيةً سمعتها مني
وأنا أشاهدُ الفلمَ الكرتوني (البوكيمون)

هل تستطيعُ أن تُغنيها الآن، فربَّما جانيت مُشْتاقَةٌ
لسماعِ صوتك؟

حسنًا بكلِّ سرور.

صوتي مبجوحٌ مِنَ الألم، ولكن في قلبي بقايا لحنٍ مِنْ
كمانٍ قد قُطِعَ وتره:

أحلمُ دومًا أن أكونَ الأفضلَ بينَ الجميعِ
لذا أجمعُ البوكيمون، سلاحِي المنيعِ

سأسافرُ عبرَ الأرضِ باحثًا في كلِّ مكانٍ
عن بوكيمون أداةِ السِّلامِ وقوةٍ لا تُهان

كانَ يَنْفُتُ سيجارةَ المرجوانا وَيَشْرَبُ مِنْ زجاجةِ
الكحولِ، وَيُتَمِّتُ معي مِنْ غيرِ أنْ يَفْهَمَ معنى الأَغنيةِ،
أَخَذَنِي وَضَمَّنِي
وبكى.

أحسُّ جانبيتِ فقدَ وَجَدْتُ رُوحًا صافيةً وفيةً لا تَنْسى،
ورحْتُ أسألُ نفسي:

مَنْ سيزورُنِي بعدَ موتي؟

كريستيان مثلًا، أخي، السيد شمعون!

مَنْ الرُّوحُ التي ستُخمدُ نارَ الحزنِ على فِراقِي
بالسَّجائرِ والكحولِ؟
مَنْ تلكَ الرُّوحُ يا ترى!

السؤالُ ليسَ مهمًّا، ولا الإجابة، مِنْ الأفضلِ أنْ أكونَ
مُقتنعًا بنظريتي:

(لأيري)

زارني أم لم يزرني أحد.
وداعًا جانيت، وشكرًا لكِ لأنَّكِ ما زلتِ في قلبي إلى
هذه اللحظة، أنتم السَّابقونَ ونحنُ اللَّاحقونَ.

(ويحكوا)

حكوا أو لم يحكوا بهمك الأمر!

خليك من الحكي أو ممّا بعد الحكي!

هل ستُضربُ أو ستُقتلُ أو ستُصبحُ ممسحةً المجالسِ
التي تَضجُّ برائحةِ الكراهية؟ هم يُطالبون بحريتهم
كمجموعةٍ تظنُّ أنّها مُستهدفةٌ على وجهِ الأرضِ وعلى
مدارِ تاريخِ وجودِ دينهم، يلعبون دورَ الضحيّةِ والنّذبِ
والبُكاءِ

والتّحريضِ والتّعميمِ بأنّهم المجموعةُ النّاجيةُ التي
بيدها الجنّةُ ولمنْ خالفهم نارُ اللهِ الحامية، بالمختصرِ
تُبنى القناعاتُ على خُرافةٍ كبيرةٍ لا مصدرَ لها سوى
رجلٍ ذكرٌ من إحدى قبائلِ البدوِ أُوحيَ إليه أنه
المُخلّصُ المنتظرُ للبشريّة، فصدّقه النّاسُ بسببِ الكبتِ
الثّقافيّ الأيديولوجي لعقولٍ مُقفلةٍ سببها الأساسيّ ثقافةُ
تلكِ البيئَةِ وهما السرقةُ والنّهبُ والنّصبُ وقطعُ طريقِ
التّجار، تُسمى تلكِ الكمائنُ (غزوات) وما يُجنى منْ

ثرواتٍ قد أخذتْ بالسَّيفِ والقوةِ تُسمَّى (غنائم) وتُبنى
الجيشُ على تجييشِ طائفيٍّ وتُرفعُ الأولويةُ وتُعدُّ بيدِ
حارسِ الدِّينِ ويُرسَمُ للعقولِ المصقلةِ بالدمويةِ بأنَّ
حربهم نصرَةٌ للآلهةِ ومَنْ قُتِلَ في هذهِ المجزرةِ
سينتقلُ مِنَ الحياةِ إلى الجنَّةِ مباشرةً،
ومَنْ فازَ فإنَّ الآلهةَ قد دَوَّنتْ نِضالَهُ ليلحقَ بعدَ مدةٍ
مِنَ الزَّمَنِ إلى الجنَّةِ!

والعقلُ أينَ هو يا بيبي؟

العقلُ مُبتدأٌ والخبرُ أنتَ بعدَ أنْ يوضعَ جثمانُكَ خلفَ
قفصِ لتتبرَّكَ بهِ الأجيالُ القادمةُ التي لُقِّنتْ الكراهيةَ
مِنَ أحمقٍ لأبلهٍ، وتأتي أجيالٌ قد سلَّمتْ عقلها منذُ
الصِّغْرِ حتَّى الموتِ على العُنصريةِ
والكراهيةِ وأخذِ دورِ الضحيةِ، ويا حبيبي إذا دخلَ أحدٌ
مِنَ غيرِ ملَّتِهِم خُرَافَتَهُم يا حلاوةً، سوفَ يَضِيعُ لا

محالة بين ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها تدّعي أنّها على
حقّ

وغيرها على باطل، والكارثة أنّ لا أحد يعرف الحقّ
من الباطل، ومن هو أبو الفهيم يلي بدو يحدّد الباطل
من الحق!

النُّباحُ يتعالى في كلّ جلسةٍ فقهية في مسائلِ الحيضِ
والنَّفاسِ، والأجيالُ تنصهرُ بين تطوّرِ البشريّةِ وبين
التَّمسُّكِ بالثقافةِ الإيمانيةِ وتمسُّمٍ مهزلة الضياعِ بين
غباءِ التّصنيفِ ومواكبةِ التّكنولوجيا!

وإذا أردتَ أن تتجَحَّ أو تخطو أيّة خطوةٍ فإنّ خطواتك
يا بيبي مؤطّرةٌ في دائرة إرضاءِ الآخرين والدينِ
والعاداتِ

والثقافاتِ ويندملونَ في معركةٍ وجوديةٍ كاذبةٍ
رأسماليةٍ ذكوريةٍ حمقاء، والحريةُ مُقنّنةٌ يجبُ أن

تُرَاعِي بِهَا الدِّينَ وَإِذَا لَمْ تُرَاعِ كُلَّ مَنْ حَوْلَكَ فَسَوْفَ
تُتَّهَمُ بِالْإِبَاحِيَّةِ وَسَيُشْنَعُونَ فِيكَ حَتَّى تُسَاقَ إِلَى مَقْبَرَةٍ لَا
تَحْمَلُ اسْمًا لَطَائِفَةٍ أَوْ عِنَاوَانًا لِقَوْمِيَّةٍ.

الْحُرِّيَّةُ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَلَكِنْ حَذَارِ أَنْ تَقَعَ
فِي عِبُودِيَّةٍ أُخْرَى فَمَفْهُومُ الْحُرِّيَّةِ لِتَرْكِ الدِّينِ:

الْحُرِّيَّةُ هِيَ إِمْكَانِيَّةُ الْفَرْدِ دُونَ أَيِّ جَبْرٍ أَوْ شَرْطٍ أَوْ
ضَغْطٍ خَارِجِيٍّ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ أَوْ تَحْدِيدِ خِيَارٍ مِنْ
عِدَّةِ إِمْكَانِيَّاتٍ مَوْجُودَةٍ، مَفْهُومُ الْحُرِّيَّةِ يُعَيَّنُ عَامَّةً
شَرْطَ الْحُكْمِ الذَّاتِيِّ فِي مَعَالِجَةِ مَوْضُوعٍ مَا. وَالْحُرِّيَّةُ
هِيَ التَّحَرُّرُ مِنَ الْقِيُودِ الَّتِي تُكَبِّلُ طَاقَاتِ الْإِنْسَانِ
وَإِنْتَاجِهِ سِوَاءَ كَانَتْ قِيُودًا مَادِيَّةً أَوْ قِيُودًا مَعْنَوِيَّةً، فَهِيَ
تَشْمَلُ التَّخَلُّصَ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ لِشَخْصٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ
لِلذَّاتِ، وَالتَّخَلُّصُ مِنَ الضُّغُوطِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى
شَخْصٍ مَا لِتَنْفِيذِ غَرَضٍ مَا، وَالتَّخَلُّصُ مِنَ الْإِجْبَارِ
وَالْفَرَضِ.

و عندما تُتقنُ فنَّ الخساراتِ وتبني تلكَ الخياراتِ على
النَّظريَّةِ التي تقول:

(لأيري)

شوف يا بيبي، إذا حاسِسِ حالِك مش مُقتنع بالدين
الذي تربيْت عليه- أيُّ مُعتقِدِ كان لا أقصدُ دينًا مُعيَّنًا-
فأنتَ في القرنِ الذي يُمكنك أن تتركَ وتدخلَ في دينِ
آخر، صحيحٌ أنَّ التَّبعاتِ مُؤلَمةٌ وقاسيةٌ،
ولكن صدَّقني في العنايةِ معركة هي الناجحة لأنَّك
فعلتَ الشَّيءَ الذي يطمئنُّ له قلبُك، سوف تُحاربُ
وتُقاتلُ وتُستَمُّ

ويُشنَّعُ فيك ويتهمونك بالكُفرِ والرِّدةِ

وسوف يُنصَّبوا لك التُّهمَ بالقتلِ والدَّبْحِ لأنَّ دينهم مبنيُّ
على عدمِ احترامِ رأيِ الآخرينِ فسوف أقولُ لك افعلها

وبسرعةٍ ولا تَلْتَفْتُ إلى الوراق، وَمِنْ هُنَا تحيةٌ إلى
الصَّدِيقِ الرَّائِعِ الشَّابِّ الكُوَيْتِي:

(نفتالي بن يهودا)

تَرَكَ دِينَهُ الإِسْلَامِي واعتنقَ اليهوديةَ عن قناعةٍ
شخصية، كانَ اسْمُهُ (يوسف المهنّا) وطبعًا الشُّعُوبُ
لعنّته بكلِّ قساوةٍ

وتراكضتْ المواقعُ العربيَّةُ التَّحْرِيطِيَّةُ على كراهيةٍ
اليهودِ لتشويهِ صورةِ الشَّابِّ ونشرِ غسيله لجمع
المشاهداتِ واللَّايكاتِ وصبِّ الزَّيْتِ فوقَ النَّارِ لتزِيدَ
مِنْ نِسْبَةِ الحاقدينَ الافتراضيينَ، يا أخي اعتبرهُ يهوديًا
ودخلَ الإِسْلَامَ ما هي رَدَّةُ الفعلِ يا ترى؟

سوف يُستقبلُ بالحبِّ والتَّبجيلِ، والآنَ هوَ فعلَ عكسَ ذلك، لماذا هذا الهجومُ

والتَّكفيرُ وتَضخيمُ الأمرِ ومَسحُ بلاطِ الكوكبِ العربيِّ المُتَّسخِ بالكَراهيَّةِ

والعنصريَّةِ وتَنصيبُ مَشانقِ الرِّدةِ لَهُ بِكُلِّ وقاحة؟
أنا أستغربُ مِنَ المُسلمينَ،

كيفَ يُطالبونَ بحريَّتهمَ واحترامِ مُعتقداتهمَ ولا يحترمونَ حريَّةَ الفردِ ولا الأديانَ الأخرى! لن تستطيعَ فتحَ فيكَ لأنَّ الحكمَ جاهزٌ ومُدوَّنٌ في كتابٍ منذُ ألفٍ وأربعمئةِ سنةٍ هجريةٍ إلى زمننا هذا، لا تستغربوا مِنَ الأُمَّمِ لأنَّها مُتقاعسةٌ عن نجدتِكُمُ ضدَّ أنظمتِكُم، ولا تَلوموا المجتمعاتِ الأخرى لأنَّها لنُ تفعلَ لكم شيئاً في ثوراتِ الرَّبيعِ العربيِّ. المصيبةُ ليست في إزالةِ الدِّكتاتورِ، المصيبةُ في المحاكمِ والهيئاتِ الشرَّعيةِ التي نُصِّبَتْ لكبتِ حريَّةِ الآخرينَ، والشُّعوبُ مطحنةٌ دمٍ بينَ أتباعِ الدِّكتاتورِ ومُروجي الخيالِ والجنَّةِ والنَّارِ، بدَّك تِرْعَلُ مِنَ هذا الكتاب؟

بحب خبرك إنو:

(لأيري)

أخبط راسك بمليون حيط و امسح دماغك بالدم حتى
تجد جنّتك، ولكلّ من يرغب بتغيير دينه أو فكره فأنا
معك ولك وبك بشرط الأ توذي الآخرين وتتهمهم
بالضلال، وتحيّة طيبة للصديق الكويتي الرائع:

(نفتالي بن يهودا)

كُن قوياً لأجلك، فإن قاطعك العالم بأسره فأنا معك
ومع كل شخص يريد أن يتغير لنفسه لا من أجل
الآخرين.

(ويحكوا)

المجتمعُ الفضوليُّ مجتمعٌ بحاجةٍ إلى حَجَرٍ صَحِيٍّ في
مَشْفَىِّ للأمراضِ العقليةِ مدَّةٍ لا تقلُّ عن سنتين، أعتقُ
أنَّ سنتينِ تُكفيانِ ليعتادَ على حشرِ أنفهِ بخصوصياتِ
الآخرينِ مَهْمَا عَظَمَ شأنُها أو قل، وأنَّ يفرضَ المجتمعُ
طبائِعَهُ على طبعك كفردٍ هذا جنونٌ آخرٌ ولكن بطعمِ
الموتِ المؤقَّت، وأنتَ جزءٌ لا يتجزأُ مِنَ الوقتِ، هو
يَمضي بثقلِهِ وخَفَّتِهِ، هو ماضٍ رَغْمًا عن أنفك
وسعادتكِ وتعاستك، سوفَ يأتي ذلكَ الوقتُ لتقولَ فيه:

رأيتُ عُمري يَمُرُّ أمامي وأنا لم أُلِقْ لَهُ بِالْأ!

هل تعرفُ بماذا أفكِّرُ الآن؟

طبعًا لا يهْمُكَ ولا يهْمُنِي إذا كنتَ تعرفُ أو لا، ولا
يهْمُنِي إنْ بنيتَ ظنًّا سيِّئًا كانَ أو حسنًا على صمتي
الدائم، لهذا السبب كتبتُ نظريتي هذه:

(لأيري)

أنتَ أمامَ خيارين، دائمًا الحياةُ تُعطيكَ عدَّةَ خيارات،
وعليكَ أنْ تختارَ الخيارَ الذي يَغلبُ ظنكَ على أنَّه
يَصِبُّ في مصلحتِكَ الشَّخصية، وأهمُّها رضاكَ
ورضى طيزكَ مدري إيرك، المهمُّ شيءٌ يُشعركَ
بالسَّعادةِ القصوى، لأنَّ الإنسانَ بطبيعتهِ تَعيسًا مُد
ولدتهُ أمهٌ حتى يَنْتهي بهِ المطافُ بجثةٍ هامدة، وطيلة
أيامِ تعاستهِ عليهِ أنْ يُفْتَشَّ عن أسرارِ السَّعادةِ وأهمُّها:
روحٌ حنونةٌ ودافئةٌ قريبةٌ إلى طبعه، وإذا لم يجدْ تلكَ
الرُّوحَ الحنونةَ التي يؤمنُ بها شغفه لمفهومِ الشَّغفِ
فعليه أنْ يَتَطَبَّعَ وَيَعْتَادَ على الرُّوتينِ الذي اختارهُ لأنَّهُ
يَخشى منْ عمليةِ المحاولةِ.

شو يعني كاتب في المجتمع الشرقي، أنا لست أسفًا
لأنني أصفه بالمجتمع الشرقي وأحذف كلمة عروبة
لأنها مصدر لكل الكوارث في المنطقة دينيًا وقوميًا،
يعني يجب أن يكون لديك هندام معين تتقنع به لتستقبل
من تحب وتخرج به للأمسيات الخلبية وتتكر به في
حفلات التدشين والتصفيق والتسحيج

والتطويل، وجود الكتاب هناك عبارة عن مساحين
أحذية إماما لفرج امرأة أو إبراز دكتاتور أو لمحاربة
من يخالفهم في قوميتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فمهمّة
الدفاع عن الدين ملزمة في وزارة خاصة اسمها:

(حرامية الأوقاف، أو وزارة الأوقاف)

ما عجبتمك البهذلة ولا أكمل؟ طيب راح أكمل و:

(الأيري)

الأدباءُ مدري قطيعُ التطبيلِ القوميةِ يلي ما جاب
للأجيالِ غير الغباءِ والنذالةِ

وحصرِ الأدبِ في المؤخّراتِ الجنسيةِ أو تلميعِ بلاطِ
الحاكمِ بأقوالِ مأثورةٍ تصبُّ في مصلحةِ الوطنيّةِ هذه
حدودهم، أما إن فكّرتَ سيهجمُ عليكِ كلابُ الحدودِ
الفكريةِ ويتّهمونكِ بالسؤالِ الأكثرِ جنوناً:

هل جُننت؟ أنتَ مِن كلِّ عقلِكَ تحاولُ أن تُفكّر؟

ولأزم، حطلي دائرةً مِن مُستنقعِ المجاريِ تبع اللّازم
أن يكونَ لكِ مظهرِ البؤسِ

والاكتئابِ ومزاولةِ البارَاتِ وملاحقةِ النِّساءِ والتّشردِ
والفقرِ وارتداءِ القُبعةِ الكلاسيكيةِ والجاكيتِ الرّسميِ
والشّابِ الخرائي، يعني مِن لزومياتِ الاكتئابِ

وجحشنة القطيع، فالأجيال لا تعرف أسماء الغربان
التي تُتقنُ صقلَ الكلماتِ في قالبِ فكرةٍ واحدة، يعني
الأجيالُ يا حميرَ الأدبِ العربيِّ إنْ كانَ هناكَ أدبٌ
بالأساسِ عرفتْ خطَّتكم وقذارتكم
ورائحة أفكاركم، بس سؤال:

ألا تستحون من التاريخ وأنتم تكررّون نفسَ الفكرةِ
ولكن بنكهةٍ أخرى؟
ما مليتوا وأنتم تلاحقون بكس أثني! ملايين الأوراقِ
تُطبعُ ليلاً ونهاراً من أجلِ كتابٍ بدايته أخذ دور
الضحية والمعاناة لعدم الوصولِ إلى الرّغبة، وإذا
وصلتم إلى الرّغبة أضحي كلامكم:

والااااااووو

خراية عليك أنتَ وهوا يا حيوان، شو الواو؟

هل تعتقدون أنكم أنجزتم شيئاً؟
عندما أقرأ للأدباء والمفكرين الغربيين
وأرى ذاك المشهد الذي لم أنسه في شبابي في دمشق
كيف كانت الذرة
والترمس والبليلة تُلَفُّ بأوراق كُتِبِ الكاتبِ الخرف
واسيني الأعرج
والمجنونة المحونة أحلام مستغانمي
والدجال أديسون، أعرف كثيراً أننا كنا نقرأ لحمير
كانت تُعَلَّفُ قومياً في المخابرات العربية تحت التطبيع
مع الذل والهوان وترويض البشر على السمع
والطاعة للجزار وإخراج العقل البشري عن مساره
لتبقى تلك الأنظمة تسحق
وتسرق من رغيف الشعب بحجة حماية الوطن.

بين قوسين :

كس أخت الوطن عا أخت أفضل أديب في الشرق
الأوسط.

تحية طيبة للكاتب العظيمة:

(نوال السعداوي)

أستاذتنا العظيمة التي كتبت وأوصلت الفكرة وحاربها
الحمير أصحاب العقول المقلدة الذين يلهثون ويهتفون
ويصفقون للصوص الأنظمة العربية، أحبك كثيرًا
دكتورة نوال، وأتمنى لك الكثير من الحب والقوة
والصحة والعافية من العاصمة فيينا.

(ويحكوا)

ما حدا بقول للجنس (لا) إلا إذا كان بحب، من أجل
الحب تتخلى عن جميع الرغبات لتشارك بها من
تُحب، الحب يجعل من مشاعرنا آلة أوتوماتيكية
ترفض كل الملدات لتنتج منتجًا واحدًا فقط ألا وهو
الإخلاص، وهناك نسب متفاوتة في الإخلاص أعلاها
عمى العواطف وألأ ترى سوى من تُحبه فتُعطيه أعلى
ما تملك، وأغلب الأحيان تهدر الوقت والجهد
والمشاعر من أجل من تُحب ويبقى السؤال:

هل من يُحبني على دراية بهذا الشغف؟

نحن نُحب مرة واحدة في الحياة، نشعر بمذاق العشق
وآلمه وسعادته، وبقية العلاقات نبنيها حتى نشعر

بالوحدة، جُننا يَعْرِفُ شَبَحَ الوَحْدَةِ وكافَةِ المُرْتَباتِ التي
تَصْدُرُ بَعْدَ ذلكِ مِنْ قَلْقٍ وَتَوَثُّرٍ وَقِلَّةِ نَوْمٍ
واكتئاب، وَحَتَّى لو أَحْبَبْتَ مرَّةً أُخْرَى سَوْفَ يَبْقَى
شَبْحُ حَبِّكَ الأَوَّلِ يُطاردُ كُلَّ خَطواتِكَ المُستقبليَّةِ،
وبالأحرى سَوْفَ تَبْحَثُ عن مواصفاتٍ تُشْبِهُ
مُواصفاتِ الحَبِّ الأَوَّلِ مع شَخْصٍ آخَرَ، وفي أَغْلَبِ
الأَحْيانِ لَنْ تَجِدَ ما تُرِيدُهُ لَأَنَّكَ واقِعٌ في البؤسِ واليأسِ
وقِلَّةِ الحيلةِ، أَنْتَ الآنَ تُرِيدُ تَجْرِبَةً جَدِيدَةً بِحُلُو
الماضي وَبعيدًا عن مرارةٍ وَمُنْغِصاتٍ وَخِياناتِ
وَجُنونِ الحَبِّ الماضي، أَنْتَ الآنَ أَهْلٌ لِلتَّجْرِبَةِ لَدَيْكَ
الخبرةُ بأنَّ تَتعاملَ مع حَبِّ جَدِيدٍ
ولكنَّ بِطريقةٍ مَضمونَةٍ، مَلتَ مِنْ أَنْ تَكُونَ فَأرًا في
حَقْلِ تَجارِبِ أَحَدٍ ما، مَلتَ مِنَ البَحْثِ، مَلتَ مِنْ
خَوْضِ كُلِّ شَيْءٍ، الشَّيْءُ الوَحيدُ الَّذِي يُبْقِيكَ على قَيْدِ
الحياةِ أَنْتَ اندمجتَ جَذريًّا مع وَضْعِكَ الحالِيِّ
وتعايشتَ مع واقِعِكَ وَأصبحتَ رَوبوتًا يَتحرَّكُ على
حَسَبِ الطَّقسِ

وتقلُّباتِ مزاجٍ مَنْ حَوْلِكَ.

المُشكلةُ بأنَّكَ تَظُنُّ نَفْسَكَ ما زِلْتَ قَادِرًا على السَّيرِ،
المُشكلةُ ليستَ أَنَّكَ قَادِرٌ على السَّيرِ، المُشكلةُ أَنَّكَ فعلاً
لمَ تَعُدْ قَادِرًا على السَّيرِ، هنا وعلى مَقَرَبَةٍ مِنَ العنِوانِ
الأكثرِ إثارةً سوفَ تَعْرِفُ ما معنى فلسفة:

(لأيري)

فعندما تعي وتتعايشُ مع قانونِ الغابَةِ الذي أنتَ جزءٌ
منه ستُصبحُ عبارةً عن جدارٍ لا يَتَأَثَّرُ بشيءٍ ولا يُؤَثِّرُ
بشيءٍ،

وهل يُهْمُكَ إنْ أثَّرتَ أو تَأَثَّرتَ؟

ديانا صديقةٌ قديمةٌ، عرَفْتُها قبلَ ثلاثِ سنواتٍ، قدُ
وقعتُ في حبِّ شخصٍ عربيٍّ، تَعَثَّرْتُ بهِ في حفلةٍ

لعيد ميلادِ صديقةٍ عربيةٍ لها، اسمه (محمد) شابُّ
سوريُّ الأصل، وجدَّ أوروبا بابًا، ففقه معنى الحرية
بأن يفلت كما يريد، كلُّ شيءٍ يلمعُ هناك وقابلٌ للقضم
بلا تذكرة عودةٍ إلى الحقيقة، الجنسُ والمُخدراتُ
والكحولُ أرخصُ من كلِّ قضايا العروبة، وأدمنَ
محمدُ المُخدراتِ وأصبحَ الجنسُ متاحًا له وببلاش،
وعبرَ المواقعِ الجنسيَّةِ يستطيعُ أن يجلبَ إلى سريره
ما لذَّ وطاب، وفي تلك الليلة كانت مفتونةً به حدَّ
الغثيان، هي تُريدُ قلبه، وهو يُريدُ جسدها، وشربًا معًا
وسرقَ قلبها إلى سريرهِ،

على سريرهِ عراها وأغرقها بالقبل، سمعتُ منه
كلماتِ الحب، كانت تسمعهُ فيصلُ صدى صوتهِ إلى
أحشاءِ قلبها وكأنَّها أوَّلُ مرةٍ تُحبُّ في حياتها، انتهتُ
الخمرةُ

والسكرةُ واستيقظتُ على فنجانٍ من القهوةِ وصوتِ
فيروز، يا إلهي!

فيروز وقهوة وقُبلة.

وعدها أن يكون معها حتى النهاية، تجددت اللقاءات
والزيارات، وكثر النوم في الأسيرة، حتى قويت الثقة
به، ولكن جرحها عندما أخبرتها إحدى صديقاتها أنه
يُمارس الجنس مع غيرها وفي نفس السرير الذي
غرقت معه به، ذهبت لتتأكد، ورأته عارياً مع غيرها،

وصدمت صدمة كبيرة حتى أدمنت المخدرات،
وراحت تنتقم لنفسها

ولجسدها حتى أصبحت عاملة في مكان للدعارة، تُلقى
بجسدها للجوع، ينقض عليه المغفلون، يلتهمون
تفاصيل لذتها
وتطبق نظرية:

(لأيري)

مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشْعَرَ ذَاكَ الْغَيْبِ بِأَنَّ هُنَاكَ أَنْتِ مَا تَتَّ
بِسَبَبِهِ وَبِسَبَبِ غِبَائِهِ وَشَرِّهِهِ لِلْجَنَسِ وَالْمَخْدِرَاتِ .
هُوَ نِي عَلَيْكَ دِيَانَا، مَا زَالَ هُنَاكَ مَنْ يُحِبُّكَ، أَعْرَفُ أَنَّهُ
حَطَّمَ حَيَاتِكَ ذَاكَ الْأَبْلَهُ، وَلَكِنْ مَا زَالَ هُنَاكَ أَصْدِقَاءُ
يُحِبُّونَكَ، أَعْطِ لِقَلْبِكَ وَلَوْ فَرَصَةً آخِرَةً، أَكْتُبُكَ لِأَنْتِي
مَتَأَلِّمٌ جَدًّا عَلَيْكَ يَا صَغِيرَةً .

(ويحكوا)

بدّك تكون مُنفتح مع العرب في الغربية، عليك أن ترفع
أعلى درجاتِ الجاهزيّة في التّعامل معهم، لأنّهم قنابلُ
مكبوتةٌ قابلةٌ للانفجارِ الجنسيّ في أيّة لحظة، وأسوأُ
اللّحظاتِ أن تقولَ لأحدِهم: مرحبًا!

فيقولُ لك:

مُخدّرات أو جنس!

في عام 2016 للميلاد من بعد ليلة رأس السنّة،
استيقظتُ أوروبا على الخبرِ الآتي:

النمسا: اعتقالُ لاجئين يُشتبه بضلوعهم في اغتصابِ
جماعيٍّ لألمانية.

ويقولُ التقريرُ:

مع أنَّ النمسا لم تشهدْ حوادثَ التَّحرُّشِ الجنسيِّ التي
شهدتها مدينةُ كولونيا الألمانية، إلاَّ أنَّ الشرِّطةَ
النِّمساويةَ أعلنتْ أنَّها اعتقلتْ تسعةَ لاجئين وطالبي
لجوءٍ من أصلٍ عراقيٍّ على خلفيةِ عمليةِ اغتصابِ
جماعيٍّ لألمانية.

قالتْ الشرِّطةُ النِّمساويةُ الاثنين (15 آب/ أغسطس
2016م) إنَّ تسعةَ عراقيين بينَ طالبِ لجوءٍ ولاجئٍ
اعتُقلوا على ذمةِ قضيةِ اغتصابِ جماعيٍّ مزعومٍ
لألمانية، عمرُها ثمانيةٌ وعشرونَ عامًا في فيينا في
رأسِ السنة، وهي قضيةٌ يُرجَّحُ أنْ تُشعلَ النقاشَ العامَ

عن الهجرة والجريمة. ولم تذكر الشرطة لماذا حدثت عملية الاعتقال الآن، خصوصاً أن أكثر من ثمانية أشهر مرّت على عملية الاغتصاب المزعومة!

وقال مُحدِّثُ باسمِ الشرطة: إنَّ المعتقلين التسعة احتُجزوا في فيينا وإقليمين آخرين في مطلعِ الأسبوعِ وراوحتْ أعمارُهم بينَ واحدٍ وعشرين وسبعةٍ وأربعينَ عامًا وإنَّهم أنكروا ارتكابَ أيّة مخالفةٍ وجميعهم بينَ حاصلٍ على اللجوءِ أو طالبِ لجوءٍ. وهم متَّهمون بالاعتداءِ على الألمانية في شقةٍ كان يُقيمُ فيها اثنان منهم في زيارةِ المرأةِ لصديقٍ في فيينا.

وقالتِ الشرطةُ في بيان: مِنَ المُرَجَّحِ أَنَّ مُقتَرِفِي الجريمةِ المُفتَرَضِينَ استغلُّوا إفراطَ الضحيّةِ في شُربِ الخمرِ.

كما قال مُحدِّثُ باسمِ الشرطة: إنَّ المرأةَ وهي من ولايةِ سكسونيا السُّفلى الألمانية كانتْ تحتفلُ في ميدانِ

بوسط فيينا ولا تتذكر ما حدث بين الساعة الثانية صباحًا والساعة السادسة صباحًا عندما استيقظت في الشقة.

ولم يحدث في النمسا ما اشتكت منه مئات النساء في مدينة كولونيا الألمانية للشرطة من تعرضهن عشية رأس السنة للتحرش أو الهجوم أو السرقة على يد حشود. بيد أن مهاجرين اتهموا في النمسا بهجمات معزولة بينها هجمات جنسية أسهمت في إزكاء الشعور العام المناهض لسياسة الباب المفتوح أمام المهاجرين الفارين من الحروب والفقر في الشرق الأوسط وغيره وهو نفس ما حدث في ألمانيا بسبب هجمات كولونيا.

واستغل حزب الحرية اليميني المتطرف، الذي يتصدر استطلاعات الرأي القضايا التي اتهم فيها مهاجرون بارتكاب جرائم للضغط من أجل تشديد القيود في

سياسات الهجرة، ويُرجَّحُ أن تكون الهجرة قضيةً رئيسيةً في الانتخابات الرئاسية المقرَّر لها في الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول.

المصدر : أ.ح/ه.د (رويترز، د ب أ)

الخبرُ مؤلمٌ جدًّا، قد ضجَّ العالمُ بأسره بهذه الجريمة، ومن بداية عام 2020 م أكلتُ أكثرَ من ألفين وعشرين خازوقًا عربيَّ الصُّنعِ ولكن بنكهةٍ غربية، غسلتُ يديَّ تمامًا من كلِّ قضاياهم ووضعتُ ساترًا سطحيًّا لعدم الاقترابِ منهم،

وانسلختُ كليًّا من كلِّ قضاياهم الخاسرة، وخلعتُ جلدة مؤخرتي ووضعتها على وجهي وقررتُ القانونَ الدستوريَّ الثاني لحياتي بعنوانه الأنبي:

(الأيري)

لأنَّ الجميعَ يَنتظرونَ سُقوطَكَ ودخيلَكَ بسقوطَكَ
وعدمِهِ فلنُ ترى منهم خيراً،
وإنَّ أتاكَ أحدهم لاهتاً وطالِباً القربَ منك فاعلم أنَّ مِنْ
ورائِهِ مَصْلحةٌ تَرفَعُهُ ولهفَةٌ تَسحُقُكَ.

(ويحكوا)

وجودنا مبنيٌّ على الخوف، والخوفُ تركيبةٌ بيولوجيةٌ في أنفسنا، والسؤالُ الأكثرُ إثارةً عندما تَبْحَثُ عن تَقَلُّبَاتِ النَّفْسِ وَأَحْكَامِهَا التَّعَسُّفِيَّةِ بَعْدَ أَيِّ فِعْلٍ، هُونِ وَبَسٍ يَجِبُ عَلَيْنَا دَفْعَ الثَّمَنِ، لَا شَيْءَ تَفْعَلُهُ مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ، حَتَّى الصَّمْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى جَهْدٍ وَعَدْمُ التَّفْكِيرِ بِحَاجَةٍ إِلَى جَهْدٍ، وَالْعَزُوفُ عَنِ مَطَارِدَةِ الْأَحْلَامِ بِحَاجَةٍ إِلَى جَهْدٍ، وَالتَّخْلِي عَنِ أَتْفِهِ حَاجَاتِنَا بِحَاجَةٍ إِلَى جَهْدٍ، وَبَعْدَ كُلِّ جَهْدٍ يَجِبُ عَلَيْكَ تَجْهِيْزَ نَفْسِكَ لِتَدْفَعَ الثَّمْنَ، وَأَسْوَأُ شَيْءٍ أَنْ تَدْفَعَ ثَمْنَ الرِّغْبَةِ بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الرِّغْبَةِ، لَا شَعُورِيًّا سَوْفَ تَكُونُ ضَحِيَّةً بَيْنَ تَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ وَحَدِيثِ الْمَحِيْطِ عَنِ الْجَنَايَةِ الَّتِي ارْتَكَبْتَهَا فِي الْمَاضِي،

والماضي عبارةٌ عن شبحٍ يلاحقك أينما ذهبتَ أو ارتحلت، وفي كلا الحالتين أنت في صراعٍ مع الذاتِ ومع الوقتِ ومع المحيطِ،

المحيطُ سوف يُرتَّبُ إصدارَ القوانينِ ضدَّكَ، وسوف
يُحمِّلُكَ كلَّ أخطائكِ،

وسوف يلمزُكَ بالكلامِ الذي يُشبهُ رميَ الرِّمَاحِ على
مشاعركِ، وسوف تُدمى

وتَهذي وتقعُ مرتطمًا بكلِّ الضَّبابِ القادمِ مِنَ اللُّغةِ،
واللُّغةُ أداةٌ للبدايةِ والنَّهايةِ، اللُّغةُ إحدى مَصادرِ الخيرِ
والشرِّ، اللُّغةُ سرُّ الخوفِ وما بعدَ الخوفِ، اللُّغةُ أساسُ
فقدِ الثِّقةِ بنفسكِ وبالمحيطِ الذي حولكِ، ومنِ أوَّلِ
حرفٍ سوف تستعملُهُ في حياتكِ سوف يُحدِّدُ مسيرةَ
حياتكِ وتُبنى عليكِ الأحكامُ ومهما علا شأنك أو تدنَّى
مستواك سوف تكونُ ممسحةَ الأفواهِ

وسيرفضُكَ الجميعُ فقط لأنَّكَ تُريدُ أن تكونَ كما تكونَ.

دُعيتُ إلى لمنظِّمةِ المثليينَ في فيينا (منظِّمةُ روز) قبلَ
ثلاثةِ أعوامٍ للاحتفالِ بمناسبةِ عيدِ ميلادِ المنظِّمةِ

الثاني والعشرين، وأنا بطبعي مُنفتحٌ على الآخر طالما
أنَّ الآخرَ لا يُؤذي الآخرين، إنَّها منظمةٌ تحمي حقوقَ
المثليين من التنمُّرِ

والتمييزِ والقتلِ الذي يَلحقُ بالمثليين، مُديرةُ المنظمةِ
البروفيسورة مارتن إنَّها امرأةٌ مناضلةٌ كرَّست حياتها
لحماية أصحابِ الميولِ الجنسيِّ والعاطفي.

أنا أعلمُ أنَّ الكلامَ عن هؤلاء الأشخاصِ
والدِّفاع عنهم مرفوضٌ في المجتمعاتِ التي تدَّعي
المحافظةَ على الدِّينِ والقيم، ولكن ومن المؤسفِ أنَّ
تلكَ المجتمعاتِ ترسمُ القيمَ حسبَ مصالحِها
الشَّخصيَّةِ،

وأهمُّ شيءٍ أن تُعرفَ أنني معك حتَّى النِّهايةِ بحريَّتكَ
ولكن بشرطِ ألا تُعنِّفَ الآخرينَ أو تُهدِّدَ حياتهم
بالموت، هذه حياتك الشَّخصيَّةِ وكلُّ شخصٍ حرٌّ
بميوله بشرطِ أن تتعاملَ مع الجميعِ بطريقةٍ إيجابية.

مصطفى محمّدوف طالبُ لجوءٍ مِنَ الشَّيشان، مثليُّ
الجنس أحبُّ شابًّا مِنْ كازاخستان وهربًا معًا إلى
النِّمسا قبلَ أربعةِ أعوامٍ والجميلُ بمصطفى أَنَّهُ طبيبُ
أسنان، وصديقُه فنانٌ تشكيليُّ رائعٌ قد تخرَّجَ مِنْ كُليَّةِ
الفنونِ الجميلةِ في موسكو، ثنائيُّ متكاملٌ جميلٌ
وخلوقٌ
ومحترمٌ.

الحادثةُ حَصَلَتْ قبلَ عامينِ حيثُ وصلَ إخوةُ مصطفى
وعددُهم أربعةُ أشخاصٍ إلى فيينا، اقتحموا بيتَ
مصطفى

وأشبعوه ضربًا حتَّى الموت، ظنَّ إخوةُ مصطفى أَنَّهُ
قد فارقَ الحياةَ، وبعدَ الجريمةِ بساعةٍ واحدةٍ حضرتُ
الشرطةُ

وَأُسْعَفَ مُصْطَفَى إِلَى الْمَشْفَى لِيَكُونَ تَحْتَ الْعِنَايَةِ
الْمُرَكَّزَةِ وَأَمْسَكَتْ الشَّرْطَةُ بِالْأَخُوَّةِ قَبْلَ مَغَادِرَتِهِم
النِّمْسَا

جَرِيمَةٌ مُؤَلِّمَةٌ وَوَأَقَعَ مَقْرَفَ، اسْتَيْقَظَ مُصْطَفَى بَعْدَ
شَهْرٍ كَامِلٍ بِالْعِنَايَةِ الْمُرَكَّزَةِ

وَتَعَرَّفَ عَلَى الْجُنَاةِ وَحُكِمَ عَلَيْهِمَ بِالشُّرُوعِ فِي الْقَتْلِ
وَقَدْ اعْتَرَفُوا بِالْجَرِيمَةِ مِنْ غَيْرِ أَيِّ ضُغُوطٍ، الْكَارِثَةُ
أَنَّهَمْ كَانُوا فَخُورِينَ بِقَتْلِ أَخِيهِمْ، وَلَكِنَّ الْخُوزَاقَ أَنَّ
مُصْطَفَى لَمْ يَمِتْ، وَبَطِييَّةِ قَلْبِهِ عَفَا عَنْهُمْ وَلَكِنَّ الْحَقَّ
الْعَامَ أَلْقَى بِهِمْ فِي السِّجْنِ اثْنِينَ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

جَمِيعُنَا ضَحِيَّةٌ حَلْمٍ وَحَرِيَّةٍ وَأَمَلٍ، حَتَّى لَوْ كُنْتُ ضِدِّي
فِي الْفِكْرَةِ، حَتَّى مَنْ يُخَالِفُنِي الرَّأْيَ لَدِيهِ الْحُجَّةُ بِأَنَّهُ
عَلَى حَقٍّ وَغَيْرُهُ عَلَى بَاطِلٍ وَلَكِنْ لَيْسَ بِأَنْ تَسُوءَ
الْأُمُورُ وَأَنْ نَلْجَأَ لِلْعَنْفِ فَقَطْ لِأَنَّ الْآخَرَ يُرِيدُ أَنْ يَشْعَرَ
بِأَنَّهُ يَعِيشُ.

افعلْ ما تُملِيه عليكَ مشاعركَ، قاتلْ مِنْ أَجْلِ راحَتِكَ
وحرِيَّتِكَ وميولِكَ، وتحرَّرْ مِنَ الخوفِ وتبَعاتِ دفعِ
الثَّمَنِ وضَعْ عنوانَ الكاتبِ نُصبَ عِينِكَ:

(لأيري)

ولكن لا تُؤذِ الآخرينَ وتستعملْ قوَّتَكَ للقتلِ والدمويةِ.
تحيَّةُ طبيِّةٍ للدكتورِ مصطفى، أحبُّكَ صديقي، اعتنِ
بنفسِكَ.

(ويحكوا)

ماذا يعني أن يكون هناك مسافة بينك
وبين غيرك؟

يعني أن تخشى أن تؤذي الآخر مثلاً، يعني أن تحاول
التقرب منه باختلاق المسافة، يعني أن تكف عن شره،
يعني أن تأخذ دور الملاحقة ولكن بطريقة مستفزة،
يعني أن تحاول الهروب منه ولكن بطريقة درامية!
أهذا الحد تتصرف بغباء حتى تحافظ على الآخر!

لنفرض مثلاً بأنك تستهلك الوقت واللون والصوت
والحركة من أجل الآخر، مهملاً ذاتك ومُتناسياً ذاتك
وأنت تلهث مثل الكلب الوفي حتى تُعيره قليلاً من
الاهتمام، وطرز فيك وبالاهتمام كنت مُستهلكاً أو
مُستهلكاً، وطرز بالدور المقرف الذي تأخذه، كيف تُفكر
بأنانية الرغبة؟ من أجلك أنت مثلاً؟

أهذا الحدِّ أضحيتَ ممسحةً لرغبتك، حسنًا فلنفرض
مثلًا أنك وصلتَ إلى الرّغبة واستمتعتَ بها لمُدّةٍ من
الزّمن،

واستعبدتها أو استعبدتك، ما هي الفائدة؟ خلصَ يعني
وصلتَ للشّيء الذي تُريد!

سوفَ تعودُ إلى تعاستك لا محالة،
وتبحثُ عن دورٍ مناسبٍ من أجلِ رغبةٍ جديدةٍ ودورٍ
كاذبٍ على مقياسِ دورك الجديد، لم أعدْ أهتمُّ بشيءٍ
ولم أعدْ أنتظرُ شيئًا أبدًا، ولكن ربّما تسألني لماذا
تستمرُّ بالكتابة؟

من أجلِ أنْ أنقلَ الحقيقةَ الواقعيّةَ

والتجارب التي خضتها مع العرب في الغرب خاصةً
وفي كلِّ العالمِ عامَّةً، وصلتُ إلى مرحلةٍ إذا قالَ لي
أحدهم:

(مرحبًا)

أكونُ على يقينٍ بأنَّه يُريدُ مصلحةً، أو يرسمُ لأمرٍ ما،
فضوليُّ جدًّا يُريدُ أن يَقتحمَ صفوَ خلوتي، يُريدُ أن
يَتجسَّسَ على حياتي، وكنْتُ غيبًا جدًّا أجيبُ على أيِّ
سؤالٍ يُطرحُ وبطيِّبِ خاطرٍ حتَّى أصبحَ منزلي
الأخضر مركزًا لتجمُّعِ العِرقِ العربي، كنتُ أساعدهم
على نشرِ كتبهم، كنتُ أقفُ مع الإعلاميين لإعطاءِ آيةٍ
أفكارٍ جديدةٍ، كنتُ أوزِّعُ الأملَ بالمجان، كنتُ فعلاً
ماضٍ ناقصٍ من وُجودي لأنني كنتُ عملةً مُستهلكةً
للآخرين من كُتَّابٍ
وإعلاميين ومُتطفلين حتَّى يلي ما عندو مكان يسهر
فيه يجي لعندي.

كنت فاتح البيت كرخانة للذي يسوى
والذي لا يسوى، بالبداية يأتون إلي مثل قطط المزابل،
قد اتخذوا قاعدة:

(نتمسكن لنتمكّن)

مثل بنات أوى يقتاتون على الجُثث، يتسولون بالليل
قبل خروج النهار،

والمصيبة أن الجميع قد جعلني سلماً ليصل إلي
مُبتغاه، والمصيبة أنني أُعرِّفُ العالم ببعضها وفي
اليوم التالي ينقلبون ضديّ طبعاً أنا أتكلّم عن تجربةٍ
على مدار خمس سنوات عفتُ فيهنّ ثيابي، ووصل بي
الحال أن أبتعد عن أيّ مُكوّنٍ عربيّ لأنّ الضربات
التي وقعتُ على رأسي أكثر من الصّواريخ التي
وقعتُ على الشعب السوريّ على مدار عشر سنوات،

هون بس لأبُدَّ أنْ أفصلَ العاطفةَ عن الحقيقةِ وأنْ أُرُدَّ
أيَّ عابرِ سبيلٍ إليَّ حتَّى لو كان نبيًّا،
وأنا أدفعُ ثمنَ اختلاطي مع العربِ في الغربِ إلى هذهِ
اللَّحظةِ، وبعدَ الانتهاءِ مِنْ هذا المرضِ سيكونُ
دُستوري القادمُ:

(الأيري)

ولنْ أقترَبَ مِنْ أَحَدٍ لَأَنَّ بابَ منزلي مُقفَلٌ ولا يَدْخُلُهُ
إِلَّا الطَّاهرينِ حسيًّا ومعنويًّا.

(ويحكوا)

شو حابب تعرف عني؟

عن الماضي مثلاً أو المستقبل المشلخ! عن طفولتي
وفُتوتِي وشبابي، بهمك تعرف؟ وإذا عرفت شو راح
يصير؟

راح أخبرك إنَّ كلَّ المعلوماتِ التي جمعتها عني إنَّ
كانت مُهمة أو غير مُهمة فعليك أن تعرف أنَّك قد
ضيّعت وقتك لسدِّ تطفُّلك وغيرتك وحمافتك في شيءٍ
غير مهم، كلُّ هذه الملفات صدَّقني لن تُؤثِّرَ على أزمةِ
ثقبِ الأوزون ولا حتَّى في مُصيبةِ تغيُّرِ المناخ، ولن
تهزَّ شعرةً واحدةً في داخلي لأنَّك وجدت حديثاً تتكلَّمُ
به مع مجموعةٍ من الفاشلين من أمثالك لتملأ به
فراغك ولتُبهرَ به معلومةً غير مُهمة عني، بكلِّ
بساطةٍ دائماً ووين ما كنت بخبروك أنه:

ختامها مسك!

ولكن لا أحد سيخبرك فيما بعد الختام، هل المسك ما زال بذات الجاذبية أم أنه فقد رونقه وأضحى رمادًا؟
وبمن سوف أختم هذا الكتاب يا ثرى؟

قبل خمس سنوات استأجرت بيتًا في العاصمة فيينا،
كان البيت فارغًا تمامًا،

وبدأت ترتيب الديكور كما أحب، اخترت اللون
الأخضر مركزًا للربيع، في الحقيقة صنعت كوكبا
لنفسي كي أرتاح من منغصات الحياة والعزل عن
البشرية، النباتات الخضراء، الكنب والمطبخ والفرش
والسريز والطاولات وصور من أحب كانت ضربًا
من الخيال، وأضحى المكان معلمًا لرؤاد أعمالتي،
وكان البشر يحجون إليه من كل فج عميق، كان بابي

مشرعاً لجميع الأحبة وغير الأحبة من المتطفلين،
 كانت لي جارة كبيرة في السن تعرّفتُ عليها في
 كريدور المبنى وعرفتُ أنني كاتبٌ فسرّها الأمرُ
 وأضحّتُ بيننا بعضَ المودّة، ودعيّتها لتناولِ الشاي
 مع الكعك، فذهلتُ بكوكبي، كلُّ مساءٍ كانت تزورني
 وتستمعُ بالمكانِ وموسيقى أم كلثوم، قالت لي: إنّها
 قارئةٌ جيّدةٌ للرواياتِ وكانت أكبرُ أمنيّاتها أن تُجاورَ
 كاتباً، فكانتُ كلَّ صباحٍ وعندَ مُغادرتي إلى المكتبةِ
 العامّةِ تنتظرُني من النّافذةِ لتُلقِي عليّ تحيةَ الصّباحِ:

صباحُ الخيرِ أستاذِ زهير، أتمنّى لك يومَ سعدٍ.

كنتُ سعيداً بصوتها ودعواتها كأنّها الجدّة الطيّبة التي
 تُحبُّ لأحفادها ما تُحبهُ لنفسها، صادفَ عيدُ الأمِّ لأقدمَ
 لها كتابي باللّغةِ الألمانيّةِ وبوكيه ورد، عندما زارتني
 في تلكَ اللّيلةِ قدّمتُ لها الهديةَ وبكتُ

واحتظنتني بقوة:

شُكراً لكِ بُني أنتِ أجملُ شخصٍ قابلتهُ في حياتي.

وبعدَ تلكَ اللَّيلةِ لمَ أرَها، كانَ عقلي مَشغولاً بها، كانتِ
جُزءاً كبيراً مِن فراغي، كانتِ جدَّةً طيِّبةً وبعينيها لونُ
الأمومةِ الرَّائعِ، فَكَّرْتُ مَلِيّاً أنِ أَطْرُقَ بابَ منزلِها
ولكنَ عَدَلْتُ عن الفكرةِ وفي اليومِ الثَّالثِ فاحتِ رائحةُ
غريبةٌ في المبنى، في المساءِ جاءَ الإسعافُ والبوليسُ
وأحاطوا بالمبنى وضجَّةُ الجيرانِ قد ملأتِ المكانَ، لقد
وجدوها ميتةً وقد انتفختِ جثَّتها

ووضعوها في كيسٍ عازلٍ للرَّائحةِ

وأخرَجوها مِن البيتِ إلى المشفى، شعرتُ بالحزنِ
الكبيرِ عليها وحاولتُ أنِ أخرجَها مِن ذاكرتي ولكن
للأسفِ بَقِيَتْ فيها.

بعد ثلاثة أسابيع طُرقَ بابُ منزلي، ثلاثة من الرجال
وامرأة، طلبوا مقابلي، رحبتُ بهم ودخلوا البيت،
قدّمتُ لهم القهوة
وبدأتُ المرأة بالحديث:

نحن أبناءُ جارتك، لقد كتبتُ عنك الأمُّ في دفترِ
مُذكراتها وكتبتُ في وصيّتها أن تُهدى جميعُ الكتبِ
لك، إنّها متأثرةٌ بك كثيرًا.

في الحقيقةِ بكيثُ على هذه المشاعر الصادقة، وطلبتُ
أن تُوزَّعَ الكتبُ على المكتباتِ التي تُوزَّعُ بالمجان،
شكرني الجميعُ لأنني كنتُ جزءًا جميلًا في حياة
عجوزٍ كانتُ أكبرُ أمنيةٍ لها أن تُجاورَ كاتبًا

لروحها السَّلامُ والأمانُ والطَّمانينة.

ختمتُ كتابي هذا بقصةِ امرأةٍ أحبَّها قلبي بكلِّ طقوسٍ
وداعِها، وتبَّاً للدُّنيا بما فيها إن لم تكن رسالتنا رسالةً
رحمةٍ وحبِّ
وسلامٍ و:

(الأيري)

إن أعجبك مسكُ الختامِ أم لم يُعجبك، المهمُّ أنني كتبتُها
لتبقى ذكراها في مُخيلتي، والآن أنتهي من هذا الكتابِ
على الأريكةِ التي كانت تُحبُّ جارتِي الجلوسَ عليها
بتاريخ:

الخميس/14/مايو/ 2020 للميلاد.

الساعة 10:30 بتوقيتِ العاصمة فيينا في منزلي
الأخضر.

زهير أبو سعد

- العضويات التي نلتها في مسيرتي الأدبية :
- عضو في الأكاديمية الدولية للإبداع
- عضو في رابطة الأدباء العرب
- عضو في منظمة إتحاد بلا حدود الأوروبية
- عضو في منظمة القلم النمساوي
- عضو في رابطة الأفرو آسيوية
- مشروع 100 رواية و نظرية مستمر بها إلى عام 2025 م ، و يمكنكم دخول موقعي و تحمل كتابي بصيغة : (PDF) طبعاً بالمجان ، و الموقع أنا المسؤول عنه ، و هذا الرابط بين أيديكم :
- [/https://zohir-abusad.com](https://zohir-abusad.com)
- زهير أبو سعد
- هنا / النمسا / فيينا / آخر معاقل الحب

